


# لنكتب عن السويد

خلف علي الخلف

# لنكتب عن السويد

شِعر

الكتاب: **لنكتب عن السويد**
المؤلف: خلف علي الخلف
شعر

جدار للثقافة والنشر | الإسكندرية
www.jidar.net | info@jidar.net

الطبعة الأولى
تصميم الغلاف: جدار للحلول المستدامة


**LET US WRITE ABOUT SWEDEN**

By: Khalaf Ali Alkhalaf

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions



ISBN: 978-1-4467-3662-3

## المحتوى

**إلى**

إنانا، آلهة الحب السومرية دليلي ومرشدي في الظلام السويدي

# لماذا أكتب عن السويد

قادم من الصحراء حيث الناس بلا أصوات. قادم من بلاد منكوبة بالصمت، لكن صوتي كان عالياً.

عشتُ حياتي مهاجراً في بلدانٍ من العالم الثالث، تلك التي تفتقد الديموقراطية وحرية العبوس بوجه الحاكم، البلاد التي لا تتسامح مع مفردة «لا» باللغة العربية. في تلك البلدان استطعتُ أن أقول «لا» بأعلى صوتي. لا؛ مدونة في كتبٍ ومقالات تجاوزتْ ختم الرقيب. تلك البلاد التي مازلتُ أحبها ومدينٌ لها بتعلمي الصراخ عند الألم. البلاد التي لم تستطع خنق صوتي؛ فلم يُخنق صوتي سوى في هذي البلاد.

في السويد التي جئتها لاجئاً وليس مهاجراً، قلت: لا. كما اعتدت دائماً. داستني أقدامٌ مجهولة لا يمكن رؤيتها، ومزقت العنصرية روحي بشكل يومي ومتكرر كمواعيد القطارات في محطة مزدحمة.

لن أنسَ الآلام، التي اعتقدت أني أمِنتُ على جسدي منها بعد وصولي إلى بلاد تعلق البيان العالمي لحقوق الإنسان على بواباتها.

ليست غايتي كتابة الشعر؛ أكتب أوجاعي، أكتب عن الجروح التي خلفتها العنصرية الناضجة في جسدي

وأيامي؛ بلغة مباشرة خالية من المجاز مليئة بالحقائق التي يعبدها السويدي الأبيض المتحضر.

على الأقل لكي أرمم روحي!

أكتب عن السنوات المظلمة التي عشتها في هذه البلاد. لا أحاول شيطنتها، ولا أكتب لاسترجاع الألم، أكتب كي أشفى. الكتابة تعيد لي صوتي الذي خنقته العنصرية.

أكتب عن العنصرية القادمة من شعور التفوق الجيني لدى أحفاد الفايكنغ، الذين قال عنهم الإنكليز أنهم كانوا يأكلون لحوم البشر، قبل أن يصبحوا مصدرين لأجهزة إيريكسون وحقوق الإنسان. أكتب لأسلط الضوء على الظلام الكامن في النفس البيضاء بينما تتحدث عن التنوير.

لا أكتب عن السويد لأطلعكم على حقائق لا تعرفونها، فما الذي يمكن أن يفعله شخص يتلعثم في النطق، ويطبع بإصبع واحدة، أمام عشرة ملايين كيبورد تطبع بعشرة أصابع لنشر صورة بالغة السعادة عن السويد.

لا أكتب لمواجهة التضليل، فكيف لنملة حتى لو كانت مسلحة بالكلمات أن تواجه رتلا من الدبابات!

أكتب لاستفرغ خمس سنين من العنصرية والألم.

أكتب عن السويد، بهدوء ورويّة، عن الرداء الشفاف الذي تستتر به عنصريتها العميقة، عن الابتسامات التي يلصقها السويديون فجأة على وجوههم عندما تقابلهم في الطرقات، عن التحية الخالية من المعنى التي يقدمها العابرون كتدريبٍ مدرسي على الإنسانية.

أكتب عنها كمحارب مثقل بأخلاق الفرسان ويواجه خصمه وجهاً لوجه، لن أطعنها في الظهر كما يفعل السويديون مع الغرباء والخصوم، ولن ألوث وجهي بابتسامة بلاستيكية بينما أكتب ثأري مع العنصرية الباسمة التي واجهتها أينما ذهبت. أكتب عنها كمكانٍ قاتمٍ ومظلمٍ يربي فيه الناس مشاعرهم كما يربون الحيوانات الأليفة ويدربونها بشكلٍ يومي على إخفاء العنصرية.

أكتب عنها هجاءً حاداً وجارحاً كسيف مصقول وساخراً كمن يواجه موتاً لا يعنيه بعبث. لأجعل الناس يشفقون بمحبة على أي شخصٍ يخبرهم أنه يعيش في السويد؛ كما

يشـــفقون على أي شــخصٍ نجا من كارثة، أو خرج للتو من بلدٍ منكوبٍ بحربٍ أهلية.

ربما ســتأتي أجيال قادمة وتكون العنصــرية الباســمة قد رحلت عن هذي البلاد، أريدهم أن يقرأوا كيف واجه بها أجدادهم شاعراً أعزل استجار بهم.

سأكتب عنها بنزاهة، وربما أتجنب العدل والإنصاف؛

أكتب عن السويد كأن هذا كتابي الأخير.

# وطن على عكاز

## عن البلاد التي هجّرَتنا

# اغتيال

البلاد التي جئنا منها
أعني البلاد التي قذفتنا للمنافي
أعني الطغاة الذين يملكون تلك البلاد
يعبدون الصمت..
صوت الضحية وهي تتألم يكدر نوم أطفالهم!
عليك أن تسرد ألمك لبئر
أو تجهر به في صحراء؛ حيث لا تزعج أحداً
إن تركت ألمك ينمو كشجرة
ستحركها الريح
وتصدر أصواتاً
تجرح الصمت
الذي يعبده الطغاة
فيكتمون صوتك للأبد.

# دفتر أحوال شخصية للهزيمة

في عيد ميلادي غير المؤكد؛ وبعد أن وصلت البرَّ الأوروبي، غير مصابٍ حتى بالنسيان، أريد أن أفتح دفاتري لأصدقائي. أريد أن أجمعهم على طاولة اجتماعات واسعة، في الهواء الطلق، في حديقة مثلا! أضع أمام كل منهم؛ كأس ماء، ورقة للملاحظات، وقلماً فقط. أريد أن نتحدث بشكل منهجي ومنضبط معرفياً حول الهزيمة. أعني نقلِّب وجوهها

المختلفة، ومن الأفضـــل لنا جميعاً؛ وفقاً لرأيي، أن نرتب محاسنها أولاً؛

لا نريد تزويرها بالطبع، وتحويلها لنصـــرٍ كما فعل أحمد ســعيد والصــحاف و المُغربِلون الجُدد، لكن علينا التأكيد بشكل واضح وملحوظ أن للهزيمة محاسن كثيرة.

نتأملها بشـــفافية؛ وإذا اقتضـــى الأمر نترك لها الخيار بأن تلبس ثوباً شـفافاً باللون الذي تختاره، على مائدة اجتماعنا هذا، ليكون اهتمامنا منصــباً عليها كليّاً، ندرس تفاصــيلها الدقيقة؛ ثنيات جسدها، تسريحة شعرها، طريقة كلامها، مخارج حروفها؛

فقد تناهى إلى ســمعي أن الهزيمة تلثغ بالراء بشــكل مُنفر؛ لنتجنـب إذاً كـافـة المفردات التي تحتوي الراء بمـا فيهـا «النصر».

أتخيلُ الهزيمة إمرأة جميلة، مُحبة، غير مخلصـــة أيضـــاً! ويمكن أن تتلاعب بنا كعشاق متنافسين على قلبها وتخوننا جميعاً!

شخص آخر قد يتخيلها مجروراً للصرف الصحي، علينا أن نحرص على تغطية كافة فتحاته في الشــوارع بشــكل محكم كي لا يقع به أطفالنا.

لا يوجد أي مانع من تخيلها كجرعة سمٍ قاتلة أو غير قاتلة حتى.

بعضكم قد يشط به الخيال ويعتبرها علاجاً كيماوياً للسرطان القاتل الذي يفتك بأجسادنا منذ وعينا هذه الدنيا المليئة بالدكتاتوريات والمغربِلين القدامى والجدد.

ليس لدي أي اعتراض على أيٍّ من تصوراتكم حول الهزيمة، ولن أضع فيتو على حضور أي شخص بمن فيهم أولئك الذين سيتاجرون بها ويحاولون من خلالها تحقيق مكاسب شخصية.

ما أريده من هذا الاجتماع أن يدرك الجميع معنى الهزيمة، أو أحد معانيها على الأقل [بعد نقاشات ماراثونية طويلة يتخللها تدخل المندوب القطري والسفير الأمريكي]. وهذا ليس غاية بحد ذاته بالطبع!

أن ندرك معنى الهزيمة
يعني أن تتلمس أقدامنا أرضاً يابسة
لنخطو..

# في المنفى

نحن؛ في هذا الخواء الكبير، فوهة العدم السوداء التي ابتلعتنا جميعاً، نستذكر كتب التاريخ التي يُنفى فيها الوطنيون إلى مالطا أو حتى إلى أغمات!

نتلو في هذه الفوهة الواسعة صراخنا الذي بالكاد يسمعه أحدٌ؛ وبالكاد يفهم أحدٌ لغتنا المرتجفة والملوثة بالدم.

نحن؛ نحتاج التعاطف القليل، حتى لو كان بحفر قبر لجثة تُركت في العراء.

نحن؛ الجثث المتروكة في هذا العدم الواسع

نريد أيادٍ تلمسنا فقط.

# العالم كما يبدو من نافذة المنفى

في ظل هـذا العـالم المتراكم والمتزاحم، أعني العـالم الـذي أصبح كله منفى
في ظل هذا العالم الذي يبدو لوحاً من زجاجٍ تهشـــم بركلة كرة قـدم خـاطئـة من قـدم ميســي أو رونـالـدينو وليس رونالدو!
في ظل هذ العالم الظاهر، المســتتر، والذي ربما يســتبطن أحاسـيس مشـردة آخر الليل، أود أن أسـأل الجميع، أعني

الجميع هنا؛ ما الذي يحدث للعالم عندما يصاب شخص في المنفى بنوبة هذيان! ويتوهم أشياء غير مترابطة.
كأن يرى نفسه لاجئاً يُطلّق نفسه من الحياة، كما في التعبير المستخدم قانونا في السويد! وينتحر برمي جثته من برجٍ شاهق، أو بحرق نفسه بعود كبريت!
أو يتوهم أنه يفتح الباب صباحاً للذهاب إلى العمل ويسمع جارته الشابة في المنفى تقول له باعتيادية: صباح الخير.. أصبحتُ يتيمة. بالأمس قُتل أبي برصاصة قناص، في الحرب الدائرة في البلاد. ليس مهماً اللغة التي تتحدث بها الشابة، إنكليزية كانت أم عربية!
أو أنه يشعر بشكل جاد أنه في قطار متجه من المنفى إلى بلاده التي جاء منها، وتخبره جارته في مقعد القطار أن زوجها قد غرق في البحر ليلة أمس وهو يحاول العبور إلى البرّ الأوربي!
قد لا يعنيك الأمر
ولكن ربما حدثت هذه التوهمات بالفعل
وهناك بشر تغيرت حياتهم إلى الأبد.

# تخيلات لا تخالف القانون

وأنت تحاول النوم على سريرك آمناً في المنفى، نافضاً ذاكرتك من عذاب الرحلة أو تراب الهزيمة، وبانتظار أن تصبح لاجئاً باعتراف معاهدة جنيف، وبينما يقف على بابك وطن على عكاز، أعني الوطن المتخيل الذي جئتَ منه، هرماً كمتسول يتكَفَّف ثمن الدواء أو زجاجة نبيذ تمنحه بعض الدفء في زمهرير الحياة، يمكن لك أن تلهي نفسك بتخيلات لا تضر أحداً ولا تخالف القانون وتخفف عنك ثقل جسدك؛

تخيل نفسك
جرّة ربابة
أو ضربة عود
أو نقرة دف
أو على الأقل صوت جرس في كنيسة مهجورة لم يعد يؤمها المصلّون.

حاذر أن تتخيل نفسك موسيقى داشرة في البريّة! قد تفقد الاتجاهات وقد تجد نفسك في برٍّ موحش لا ماء فيه وقد تقودك أقدامك إلى البحر ويشعل رأسك الحنين إلى البلاد المنكوبة التي جئتَ منها، فتغرق. لأنك تريد العبور دون سترة نجاة، حتى لو تخيلت نفسك موسيقى فهذا لن ينجيك من الغرق.

أناس كثر غرقوا بينما كانوا يتخيلون الوصول إلى الجنة التي أنت فيها الآن وتسميها منفى.

# وحيداً أتلقى الطعنات في الظلام

# أرواح هاربة من العتمة

[1]

تأخرنا كثيراً، وصلنا أوروبا منهكين من الفجائع، والندم الذي يلبس نظاراتٍ طبية. وصلنا بأسمال ذكرياتٍ، وصرر من الهزائم. وصلنا بأرواحٍ تائهة تغني في نومها مواويل عن محاربٍ طعين تُرك في ساحة المعركة. وصلنا خالين الوفاض من الحب والدموع.

تأخرنا في النجاة،

تأخرنا كثيراً في الوصول إلى البرّ، حيث لم يعد له معنى.

[2]

وصلنا إلى السويد،
من بلادٍ تختلط بالسراب
حالمين بوطنٍ حقيقيٍ
وطناً صالحاً للعيش
كي
نشتمه

**[3]**

أخيراً
أصبحتُ لاجئاً سياسياً بأوراقٍ رسمية، أحمل أربعة أرقام تعرف عني في الدوائر الرسمية في البلاد.
البلاد التي سأعرف لاحقاً أنها ستأكل عمري ببطءٍ؛ دون شهية، كما يأكل المحاصرون الجثث!

**[4]**

الأيام تمشي ببطءٍ في هذي البلاد
الشمس، القدر، الخطوات، الكلمات، الفراسة، النظرات، العمى، المشاعر...
كل شيء يمشي ببطء في هذي البلاد
ماعدا سنين العمر تمضي مسرعة.
كأنها عمر يركض للوصول إلى البيت قبل غياب الشمس.

**[5]**

تأتي الريح في هذي البلاد كعادتها دون مواعيد؛ ريح باردة
وتائهة كأنها تمشي في نومها
تأتي بأشـياء كثيرة، كالذكريات والحنين الذي يمشـي على
عكاز كرجل هرم فقد بصره
لكنها لا تأخذها معها حينما تغادر.

**[6]**

من نافذة عالية أطل على الخراب هناك،
كل يومٍ
يخرج من رأسي سرب طيورٍ، يحلق عالياً، يهاجرُ نحو البلاد
التي جئتُ منها
ولم أعد أعرف الطريق إليها.

**[7]**

فجأة؛
يتشكل الماضي أمام عينيك
أعني كأن الأمر حدث فجأة!
صار لدينا ماضٍ طويل ومزدحم.

**[8]**

من هذه النافذة التي بلا دلالات خاصة في الطابق السادس، وأنت تنظر للمدينة بكل جمالها الجاف والناعم، عليك ملاطفة الهزيمة!

الهزيمة ذات حوافٍ خشنة، كحجر صوان مكسور، إن لم تلاطفها ستشق نهارك إلى نصفين، يصبح عبورك في مجرى أيامك محاطاً بالدم؛

الدم الذي ستمشي عليه حاراً ولزجاً وبلا معنى؛ كفضيحة تروجها حسابات مستعارة في شبكات التواصل.

**[9]**

إنها تمطر!

إنها تمطر الآن

المطر ينقر على النافذة كالمعتاد

يبلل العشب، والأشجار والشوارع، والهواء؛ والأشخاص إن وجدوا..

لكنها تمطر دون أي معنى!

لتدرك ما أعانيه؛ فكر قليلاً بهذه النقطة:

أعيش في البلاد التي يفقد فيها المطر المعنى

ولا يمكنك تخيل قُبلة دون عاطفة تحت المطر!

## [10]

كنت أسير في حديقة الله، أو حديقة الكنيسة، أو مقبرة مالمو، التقطتُ صورا ملونة للأشجار في بداية فصل الخريف. كانت الألوان مختلطة بين الأمس واليوم والغد. ألوانٌ مبتهجة، ألوان شاحبة، ألوان في طريق الموت.

حين التقطتُ الصور،
لم أفكر بمصير الأشجار
ولم أفكر بكتابة تاريخها وآلامها
لم أفكر بحفظ سجلٍ مصورٍ لحياتها
لكنها تُظهر بالصدفة [ربما] تحولات الكائن الحي
أو ما تفعله الحياة بالناس أيضاً.

# فيلم قصير بمشاهد داكنة لحياتي هنا

**[1]**

حياتي الممزقة والمهترئة، كثوبٍ قديمٍ ومهترئ
حياتي هذه؛ يأتي أصدقاء من بلادٍ بعيدة
وأذهب لأصدقاءٍ في بلادٍ بعيدة
ليخيطوها
بأصابعهم الواهنة
والمتعبة.

**[2]**

كشخصٍ مبرمج إلكترونياً
سأبتسم كل يوم
سأبتسم في كل مكان
سأبتسم في وجوه الجميع
سأبتسم للمرآة إن لم أجد أحداً يصغي لابتسامتي
فأنا أتعلم اللغة السويدية
وأتدرب على حياتي كسويدي محتمل.

## [3]

الصباح يأتي هنا كل يوم، أعني في المدينة التي أعيش فيها، فهناك أماكن في السويد يغيب عنها الصباح أو يأتيها ليلاً. الصباح ليس شرطاً لبدء يوم جديد مع العنصرية، تلك التي تبتسم لك في الطريق بلطف، التي تصافحك بودٍّ وتسألك بأدبٍ خجول:

How can I help you!

## [4]

أنا لاجئ بسحنة عادية، السحنة التي تصدر اللاجئين. لاجئٌ غادرته الأحلام، بعدما ضاقت الحياة به وعليه، وأصبحتْ بالكاد تتسع له، دون ثيابه. لاجئ وصل البرَّ الأوربي
دون جروحٍ جسدية بليغة
خلّفتها الحروب
نجى من الغرق في البحر
وأصبح لاجئاً في شمال العالم
لاجئاً بسحنة شرق أوسطية دائمة
يطارده السويدي الأبيض
ليغرقه في اليابسة.

**[5]**

أجلس في الظل، أعني أجلس في ظلي، فلا يوجد ظلال في هذه البلاد تستريح تحتها قبل أن تواصل المسير. أجلس دون أثرٍ أتركه على الأرض، فالبلاد خالية من التراب. أفتش ذاكرتي اليومية عن آثار الطعنات؛
وكترجمان مُحلَّف؛ أقلّب الوجوه المرادفة لمعنى كلمة خنجر باللغة السويدية
وأغفو..

[6]

مشيت اليوم في مقبرة موتالا
شعرتُ بارتياح بطيء ودافئ وإنساني
ليس لأنها تبدو كوصف الجنة في الكتب المقدسة؛
بل لأن المقبرة تبدو المكان الوحيد في السويد الذي لا يعاملني فيه سكانه بعنصرية.

**[7]**

عندما يحدثني شخص باللغة السويدية، اشعر بارتجاف في مفاصـــلي، دماغي يدور كمروحة ســقفيه ويزداد خفقان قلبي، أشـــعر أن الهواء قد جفّ من حولي، تبدأ حبيبات العرق بالتشكل على وجهي.. لأني أشعر أنه سيأكلني بعد أن ينهي جملته الأولى أو يعضني على الأقل!

فأطلب منه فورا أن يتحدث معي الإنكليزية. أعتقد أن على منظمة الصحة العالمية إدراج رهاب اللغة السويدية ضمن أمراض الرهاب المعترف بها.

# الحنين الذي لا يفهمه الديموقراطيون

إلى نسيب عريضة

لا يصدق السويدي حنينك
حنينك لتلك البلاد الفقيرة والخَرِبة والمدمرة التي يحكمها الطغاة..
لا يصدق رغبتك بالعودة
تاركاً هذي البلاد الديموقراطية الجميلة التي تزدهر فيها العنصرية الملونة كحقول التوليب دون سماد كيماوي.

# سقف بيتي خواء

إلى ميخائيل نعيمة

الجميع يعرف المعلومة التي سأقولها لكم؛
أعني؛ أصدقائي، اللاجئون دون تحديد جنسياتهم، الشرق أوسطيون منهم على وجه التحديد!
الجميع هنا يعرف أن السماء في السويد منخفضة وعليك أن تنحني لتمشي على قدميك.

# صورة لكأس نبيذ في بار سويدي

كان الجو ماطراً ودافئاً نسبياً في مالمو عند انتهاء دوامي في الكلية. أردت نسيان العنصرية باستعادة ذاكرة قديمة لأيامي في الاسكندرية، أو بدرجة أقل كثيرا أثينا، أو حتى ذاكرتي القصيرة في اسطنبول؛ حيث كنت أجلس بجانب نافذة مقهى أو بار اشرب النبيذ بينما تمطر.

ذهبت لمقهى البيرة، وهذا اســمه؛ حيث اعتدت المكان. هنا في هذه البلاد ليس مستحباً أن تتحدث إلى جارك في الطاولة المجاورة حتى لو لم يكن عنصرياً. ولتزجية الوقت أصبحت أتسلى بالتقاط صورٍ لكأس النبيذ لا يظهر فيها أي شخص. الخصــوصــية هنا مقدســة، رغم أنها لم تدون في مذكرات الفايكنغ عن حياتهم.

«الســيرفيتريس» التي تظهر بين فينة وأخرى بين الطاولات والمساحات الفارغة، لأن مهنتها هي خدمة الزبائن وسؤالهم عم يشربون؛ وعلى غير العادة وضعت نفسها بشكل مرح في مرمى الصــورة عندما كنت أحاول تصــوير كأس النبيذ. أخذت موافقتها الخطيّة، على حرية نشــر الصــورة، وفقا لقوانين حرية التعبير والنشر في السويد.

فقد فكرت على عجلٍ وباســتهتار أعمى لا يســتدل على الأماكن بسهولة؛ أنه يمكن نشر هذه الصورة مرفقة بنص سأكتبه عن النبيذ.

كتبت لي بالســويدية ما معناه «ليس هناك مشكلة في نشــر صورتي. ووقعت.» وأكدت لي بابتسامة لا يمكن تفريقها عن الابتســامات المصــنعة في مخابر إيريكســون؛ أن الصــورة

جميلة، لكنها لم تطلب مني أن أرسلها لها كما يفعل اللاجئون.

لم تكن بذهني خطة للكتابة؛ كنت أريد أن أستعيد الشتاء مع النبيذ، كنت أفكر بصياغة نص شعري للجملة التي قلت لحبيبتي أني سأكتبها لها غدا؛ أي اليوم، والتي نصها حرفياً: «أحبكِ بشكلٍ مؤكد». وكنت أقصد من هذا التأكيد إثارة غيرة النساء! وهنّ متخيلات على أية حال!

الشتاء الطويل في بلادٍ كالسويد
الشتاء الذي لا تشعر ببرده
الشتاء الذي تشرب فيه النبيذ بتواترٍ يفوق أي بلادٍ أخرى
الشتاء الذي لا يُبصركَ
ويتعامل معك كشخصٍ غير مرئي
أو في أحسن الأحوال كأرضٍ مشاع
أو أملاك غائبين
كيف لك أن تبني ذاكرة معه والنبيذ!

# ابتسامة في مكانها الطبيعي تثير الدهشة

ذهبتُ اليوم إلى مدرسة اللغة السويدية مبتسماً، ابتسامة حقيقية، ليست كالابتسامات السويدية المصنعة من إعادة تدوير مواد النفايات العاطفية. ولأنها ابتسامة حقيقية [فالجميع هنا يعرف الابتسامات الحقيقية]، فكل من صادفته في الطريق نظر لي باستغراب مبهم، متسائلا في سره عن السبب الذي يدعوا لاجئا في هذي البلاد أن يبتسم، ابتسامة حقيقية.

معلمتي [وهي سويدية من الأقلية الفنلندية] تنثر على وجهي ماء المودة كلما رأتني، وأعتقد أنها مودة حقيقية، رحبت بي لأني كنت غائبا بالأمس. بررتُ غيابي، فقد كنت في امتحان رخصة القيادة، ورسبت.

كنت أضحك وأنا أخبرها ذلك بلغة سويدية مكسرة. باركت لي باللغة السويدية، فرفعت يدي قابضاً أصابعي ورافعاً الإبهام دلالة الابتهاج بمباركتها.

سألتها إحدى اللاجئات، التي تجاوزت الستين وتتعلم اللغة من أجل المستقبل؛ على ماذا تباركين له وهو يقول لك أنه رسب. عادت معلمتي للتأكد مني! فأكدت لها وأنا أضحك أني رسبت؛ لكن هذه المرة باللغة الإنكليزية منعا للالتباس.

سألتني إن كنت رسبت بفحص النظري أم العملي. فقلت لها وقد بدأ ضحكي يعلو بالإثنين معاً.

صارت معلمتي تضحك، انتشرت عدوى الضحك بين اللاجئين الذين يتعلمون اللغة السويدية بشغفٍ وحماس لكي يتحولوا إلى عاطلين عن العمل.

اعتذرت من الجميع عن ضحكي غير المبرر، وعن الضحك الذي سببته في قاعة درس عادة ما تكون متجهمة في السويد.

ولم أخبرهم

أن داخلي يضحك

لأن امرأة من خارج السويد قالت لي: أحبك.

# خرف مبكر

نزلت من القطار. وكرجلٍ بدأ يحتل مقاعد كبار السن باكراً في هذي البلاد، توجهت للمصـــعد كي يأخذ بيديّ [أو قدميّ إذا تجنبنـا الشـــعر] من النفق إلى ســـطح الأرض، كي أرى الدنيا والأشـجار التي يحترمها الجميع هنا. كنت أريد المشـي إلى بيتي الذي يطل على حديقة، مثل كل بيوت هذي البلاد التي تحترم حق الإنسان والكلاب والدجاج بهواء نقي
تفاجأتُ أن المصـــعد لا يعمل ونحن في هذي البلاد الخالية من الفساد والبهجة!
تذكرتُ أن اليوم أحد
ونحن في الســـويد! البلادُ التي تحترم حق الآلات بالحصـــول على عطلة أسبوعية.

# رصاصة طائشة لمكافحة الإرهاب

زرت بلاداً كثيرة وعشتُ في بلادٍ كثيرة

تشاجرتُ مع الشرطة في كل تلك الدول، في الهجرة والجوازات، في المعابر الحدودية، في المطارات، شرطة المرور، شرطة الطرق..

في تلك البلاد التي لم يكن من بينها بلداً مصنفاً ديموقراطياً وفقاً لمعايير الكنيسة الديموقراطية الأمريكية، شُتمتُ نادراً، وكنت أرد الشتيمة بحذافيرها دون خشية الموت، أو سلاح الشرطي.

المكان الوحيد الذي أصبحتُ أخاف فيه من الشرطة هو السويد!

في السويد كلما رأيتُ شرطياً أفكر أنه يستطيع قتلي برصاصة في رأسي دون مسؤولية تذكر؛ فملامحي لا توحي بالثقة، وعُممت في العالم كإرهابي محتمل.

# السويد بصورٍ غير ملونة

# البلاد التي نسيتها الحياة

**[1]**

السويد بلد جميل حقاً
فيها كل متطلبات الحياة
ما ينقصها هو الحياة فقط.

**[2]**

السويد بلاد تحتفي بالموتى
أما ترى احتفاءهم بالمقابر!

**[3]**

السويد وهم الحالم
وحيلة الطريق المسدود لآخرين

**[4]**

السويد بلد الحرية الفردية
يمكن أن تعيش فيها بسلام ككائن فردي، إذا ترك لك أبوك
تركة تكفيك شرّ العمل والاحتكاك بشرور الآخرين؛
حينها حتى فردة حذائك لا تتعرف على أختها.

**[5]**

في السويد؛ كل شيء يبدو جميلاً،
كأنه رسم بدقة عبر برنامج الفوتوشوب؛
الطبيعة
الأشجار
الشوارع
البيوت
النساء
العواطف
الابتسامات
العنصرية أيضاً

**[6]**

في السويد يوجد بشر في الشوارع التي لا تدركها الوحشة مساءً. حتى عندما تصل الساعة للثامنة، يمكن أن تسير في شارع عرضه عشرين متراً في وسط المدينة وتصادف امرأة تنزه كلبها!

**[7]**

في السويد؛
إذا كنت تعبر الشارع كنملة، وُلدتْ للتو، من ممر المشاة سينتظرك السائق يومين متتاليين حتى تعبر
أما إذا كنت تعبره كأرنب، بعيداً عن ممر المشاة مقدار ذراع؛ سيدهسك السائق دون أن يرف له جفن، أو يذرف عليك دمعة أو يحاسبه القانون.

**[8]**

السويد بلدٌ علماني، نسبة ضئيلة من السكان يعبدون الله بمختلف تجلياته، بينما يعبد آخرون جيوبهم [وهو معنى مجازي للحسابات البنكية]، لكن السويديين عموماً يعبدون القانون بكامل حروفه وعلامات ترقيمه؛
غير أنه عندما يميل لصالح لاجئ يصبح «رجساً من عمل الشيطان» يجب التحايل عليه.

**[9]**

في السويد هناك مفردات مقدسة، كأنها آية في كتاب مقدس، بعدها ينتهي أي جدل. فعندما يقول لك موظف سويدي «تيفار»! هذا يعني أنك تهدر وقتك [الذي بلا معنى في هذي البلاد ولا قيمة له]، في محاولة زحزحة رأيه المقدس.

**[10]**

السويد جنة الأطفال
الأطفال فيها نظيفون ومهذبون
يبتسمون دائماً للغرباء
لكنهم للأسف عندما يكبرون
يصبحون سويديين.

# نصيحة مجانية

جزء من مهام زعماء العالم الخطابة، مخاطبة شعوبهم. في البلدان الديكتاتورية الخطابة هي الوظيفة الرئيسية للديكتاتور. أما في البلدان التي تدور في فلك الكنيسة الديموقراطية الأمريكية، مخاطبة الناخبين ضرورة وواجباً متكرراً.

يتلونَ الأكاذيب ويلونونها بألوان العلم الوطني. يزرعون الأشجار الخضراء التي يحبها أنصارهم والمترددون في مناصرتهم، في الهواء الطلق. يبشرون بمستقبل زاهر بعيداً عن إحباطات الحقائق. وهناك دائما من يصدقهم. لكنهم، ولكثرة تلوين الأكاذيب بالألوان الزاهية يقعون في بعض الأخطاء، ويتعثرون بتعابير واضحة، تتضمن جملاً عنصرية، فتفضحهم وسائل الإعلام في دول فيها حرية تعبير. حدث ذلك مع الرئيس الأمريكي أو أسقف الكنيسة الديموقراطية، زلّ لسانُهُ في لحظة غفلة عن المعايير، وتفوه بتعابير عنصرية، وهو ما لا يرضي حتى بعض ناخبيه.

لو أن الزعماء العالم يلتحقون بدورة تدريبية على إخفاء العنصرية وممارستها بشكل غير معلن لدى الحكومة السويدية لنجوا من الإعلام مهما كان حراً وديموقراطياً.

# الأكاذيب مطبوخة بمرق العنصرية

في السويد [ودولٍ ديموقراطية كثيرة] لا يوجد قانون يجرّم الكذب، لذلك يكذب الموظف السويدي بشكل مستمر، بحرية يكفلها القانون، دون خشية أو مبالاة. كطريق دائري يكذب، كالأطفال عندما تحاصرهم الأمهات يكذب كذبا سريع العطب. يكذب بعنصرية أيضاً، فهو لا يعتبر الكذب أمراً شائنا في العلاقة مع لاجئ في بلاده. لا يحاول صياغة كذبة مقنعة؛ فأنت كشرق أوسطي لا تستحق أن يبذل سويدي أبيض جهدا ليقدم كذبة مقنعة. يكذب بفجور بارد يدمر أعصابك!

في البداية كنت أستخدم تعبير «هذا غير صحيح». ثم بدأت أستخدم تعبير «أنت تكذب»، تحت وطأة الأفكار الواضحة وغير المهذبة التي أحملها من الشرق. في المرة الأخيرة استخدمت تعبير «أنت تكذب دون خجل».

بالطبع، ليس هناك قانون يحاسبني عندما أقول ذلك، وقد أصبحت استمتع وأنا انتظر أن ينتهي المتحدث السويدي الأبيض من الكذب، لأقول له: أنت تكذب.

# سويديون في مجاز العبرات

# شعب يستيقظ باكراً ليتدرب على اللطف

[1]

السويديون مدربون على اللطف باحترافية شديدة، يؤدونه بدقة عالية كلاعبي السيرك المحترفين؛
ربما يدرسونهم اللطف في المدارس السويدية!

[2]

السويديون لا يستخدمون التعابير السلبية. فقد تسمعها الغابات وتكف عن الغناء. وقد توقف نمو الموسيقى في مخيلة الأطفال. إنهم شعب إيجابي يكافح من أجل سعادة سكان الأرض وتخليصها من ثقل الجاذبية. يستخدمون تعابير إيجابية مدربة على ممارسة اليوغا، تحفزُّ نمو الناتج الوطني للابتسام.
على سبيل المثال؛ هناك قطار سويدي بطيء بطيء بطيء..
اظنه ابطأ قطار في العالم
يسمونه القطار اللطيف!

## [3]

السويدي يكره بعض المفردات، فهو لا يحب مفردة كـ النقد يصاب بطرشٍ فيزيائي حقيقي عندما تنتقده أو تنتقد بلاده. ينظر إليك ببلاهة وتختفي الابتسامة التي كان يلصقها على وجهه قبل قليل، حتى لو انتقدت البط الذي يسبح في البحيرة بشكل موارب. أما إذا انتقدت العنصرية فأنت تلقي نفسك في محرقة لن تخرج منها إلا بعاهة مستديمة.

## [4]

السويديون شعب يحب المديح

القادم من بلدٍ منكوب بالطغاة والحروب إلى هذه البلاد الديموقراطية، التي آوته ومنحته حق اللجوء على أراضيها، إذا أراد أن يصبح لاجئاً نموذجياً ومحبوباً، ويعيش بسلام، عليه أن يردد:

Tack Sverige

Tack Sverige

Tack Sverige

كساعة حائطية.

## [5]

السويدي واشٍ، مخبر بلغة عصرية حديثة. الأمر لا ينحصر بالوشاية لأجهزة المخابرات كما في الدول التي تحكمها الديكتاتوريات.

السويدي يمكن أن يشي بك لشركة السكن، للبلدية، لشرطة الطرق، لشرطة القطارات، لزوجتك، لأبيك. يمكن أن يشي بك إذا رأى جرحاً في وجهك، أو شاهدك تعرج في مشيتك، إذا دخنت على البلكون أو عدت متأخراً بينما زوجتك نائمة لا تدري عن موعد عودتك.

يضحك عندما تعايره بهذا، فالوشاية تمشي عارية في السويد ولا تستر عورتها، ثقافة البلاد تفخر بالوشاية، كالبعثيين الذي يكتبون التقارير عن معيقي مسيرة الحزب والثورة.

## [6]

السويديون لا يحبون الوضوح، من النادر أن تسمع منهم كلمة «لا» أو «نعم»، جوابا. رغم أن السويدية ليست لغة مجازات، إلا أن حياتهم يلفّها الضباب والغموض البنّاء، فالطائر الذي يمر أمامك ربما كان يطير، والأسبوع من المرجح أن يبدأ يوم الإثنين ويتكون من سبعة أيام! فهذا

احتمال شبه مؤكد، والنار قد تحرق الفراشات إذا وقعت فيها. وقد تحصل على عمل وربما مزايا أخرى إذا كنت سويدياً أبيضاً وعضواً في الحزب الحاكم! بشكل قانوني وأقل وضوحاً وانكشافا مما يحصل عليه زملاؤهم في الأحزاب الحاكمة في البلدان الديكتاتورية.

**[7]**

السويديون باطنيون، ولا أعلم صراحةً، إن كان ذلك بالفطرة أم بالتعليم العلماني؛

يخفون مشاعرهم تماماً وأراءهم غالباً، كالتجار الذين يخفون حساباتهم الحقيقية عن مفتش الضرائب في البلدان التقدمية الفاسدة،

حينما يضطر السويديون لإظهار مشاعر ما؛ فإنهم كالتجار المتهربين من الضرائب يظهرون مشاعر مزيفة.

**[8]**

في القطار اللطيف؛

صعد سويدي أبيض ناصع من محطة على الطريق وجلس أمامي بتحفظٍ، فأنا أرتدي بشكلٍ اعتيادي ودائم سحنة شرق أوسطية. كنت أشرب النبيذ طوال الطريق، لمداواة

آلام البطء والعنصرية. لا يمكن إخفاء سحنتك التي لم يورث لك أجدادك غيرها، والتي تشير بوضوح ناصع إلى أنك لاجئ.

مجاملة لي، شتم بوتين مطولاً، والسويديون يعانون من الروسوفوبيا كمرض اعتيادي.

حينما انتقدت العنصرية في بلاده، لتنويع الحديث وكسر حاجز الرياء، اعتذر بلطف عن متابعة الحديث، لأنه محام موظف في الحكومة.

لم أكن أعرف حينها أن القانون في هذي البلاد الديموقراطية يمنع السويديين في الوظائف العامة من التعبير عن أرائهم!

**[9]**

السويدي شخص لطيف جداً
يبتسم في وجهك دائماً
حتى وهو يطعنك في ظهرك
لا يتخلى عن ابتسامته!

**[10]**

السويدي لا يواجهك كمحارب

يتربص بك كعميل استخباراتٍ من الـ كي جي بي.

يخطط لاغتيالك دون أن يترك خلفه أثراً

دون أن يترك نقطة دمٍ تشير إليه.

# عواطف معلبة قاربت على انتهاء الصلاحية

السويديون لديهم مشاعر إنسانية، عواطف مواساة ودموع وإشفاق، تنتجها المناهج المدرسية وشعارات الحزب الديموقراطي الحاكم.

حين يعم السلام في الأرض، لن يجدوا مكاناً لصرف هذه المشاعر النبيلة.

لديهم دائما مشاعر تقارب صلاحيتها على الانتهاء، لذلك هم بحاجة ماسة للمآسي؛ حروب، كوارث طبيعية، صور مؤثرة من تلك الحروب والكوارث، مشردون، لاجئون، ضحايا؛ خصوصا من الأطفال، ليصرفوا هذه المشاعر قبل انتهاء صلاحيتها وتُرمى دون استخدامها؛

انهم بحاجة تلك البلاد المنكوبة وضحاياها

فهي تشكل مصلحة أو مصحة نفسية حقيقية لهم

فأكثر ما يمكن أن يعطيه السويدي للمنكوبين بسخاء

هو العواطف المعلبة

التي قاربت صلاحيتها على النهاية

بدل أن يرميها في النفايات.

# ابتسامة منهكة تستحق الشفقة

عمري يقترب مسرعاً من الخمسين؛ عشت حياتي كلها مهاجراً؛ في سوريا، السعودية، اليونان، مصر، وتركيا، وأخيراً وصلت السويد لاجئاً.

سافرتُ من أكثر من ثمانين مطار، سافرتُ في البرّ والبحر كذلك، زرت آسيا وأفريقيا وأوروبا، وقابلت كثيرين من أمريكا اللاتينية.

زرت دولا كثيرة، من شمال العالم المتجمد، حتى جنوبه اللاهب. صادفتُ [خلال حياتي القصيرة] الكراهية مرات عدة، وهي تلبس أثواباً وأقنعة مختلفة، رغم ذلك [ينبغي الاعتراف] لم أعرفها عن قرب، وبشكل حميمي إلا في السويد.

حيث رأيتُ السويديين البسطاء والمساكين يجاهدون طوال اليوم؛ بل طوال حياتهم؛ لإخفاء الكراهية من وجوههم عبر سترها بابتسامات مهترئة وممزقة.

الحق أقول لكم
إذا جمعنا الكراهية من الجهات الأربع

من كل البشر
من الطيور الجارحة
وكلاب الرعي والحراسة
لن تعادل حجم تلك الكراهية
التي يحملها سويدي واحد
في قلبه الصغير
ويجاهد طوال حياته لإخفائها
بابتساماتٍ منهكة
ومصابة بالاكتئاب المزمن!

لنتعاطف معهم
لنتعاطف معهم
السويديون الذين يحملون الكراهية
في قلوبهم الصغيرة
يستحقون تعاطفنا.

# قدرات خارقة

يا لقدرة الناس في هذي البلاد!
قادرين على الحركة في العدم
كأنه أمر طبيعي
كأنهم يتحركون في الحياة
كيف امتلكوا هذه القدرة الخارقة!

# سيرة لاتجاهات الريح في السويد

# موكب البطة أنّا- كارين

إذا عشــت في القرن العشــرين؛ أو ما زلت تعيش في القرن الحادي والعشــرين فقد شــاهدت مرة على الأقل مشــهد البط الذي يعبر الشارع بحراسة الشرطة السويدية.

إنه مشهد سينمائي، يفطر القلب لرهافته الإنسانية. تعيد الشرطة تصويره في كل مدينة وقرية؛ تجعله خبرا رئيسيا في الجريدة المحلية؛ تبثه من خلال قنوات التلفزيون الوطنية والإقليمية، على شــاشــات الإعلانات في محطات المترو والقطارات، عربات المترو، الباصات، القطارات، الساحات العامة وشبكات التواصل. يتداوله الناس حول العالم عبر الإيميلات والرسائل.

الســويديون لديهم دراســات معمّقة في علم نفس إخضــاع الجماهير، يعرفون جيداً صياغة الأخبار الإيجابية. فلمزيد من التأثير على الناس يعطون البط أسماء بشرية عند بث الخبر!

«عبرت البطة أنّا- كارين برفقة أطفالها، إيلينا، لينيّا؛ إيمّا، فيرا، ماتيلدا وبريغيتا الشــارع ظهر اليوم وتســببت ببعض

الزحام المروري. حضـــرت الشـــرطة الســـويدية إلى المكان لتنظيم السير خلال عبور الموكب الجميل للبط».
يعاد تصـوير وبث هذا المشـهد عند تأزم الأوضـاع البلدية أو السـياسـات الوطنية، لوضـع السـويديين تحت تأثير البط فيسهل تمرير القرارات الصعبة بصمت.
عند زيارة رئيس الحكومة لبلد ما، يبث هذا المشـــهد بلغته المحلية، عبر استئجار مساحات إعلانية، بالطريقة نفسـها التي روج بها كيم إيل ســـونغ أفكاره التي ما تزال حيّة في بلدٍ جائع.
يعاد بثه عند تكسـير تمثال زلاتان في مالمو من العنصـريين، وعند حصـــول اعتداءات على اللاجئين أو المهاجرين وعند ســحــب الــدوائر الحكوميــة لأطفــال اللاجئين لمنعهم من التفكير بأكل البط مستقبلاً.
إنه مشـــهد مهيب. تمشـــي البطة بثقة كأنها في حفل تتويجها ملكة للبلاد. أما الشـــرطية فتبكي دائما وهي تحمل بريغيتا الصغيرة التي توقفت في منتصف الشارع.
الشـــعوب المتنوعة الثقافات والألوان، ليس لديها رد فعل موحد مثل السـويديين والذي تسـبقه الشـهقة دائما. هناك أشـخاص عاطفيون من شـعوب الجنوب، أو حتى الشـرق، بعضـهم مرهفو المشـاعر يذرفون الدمع تأثرا، بينما يلعنون

بلدانهم، وحظهم، ويضــربون أطفالهم إذا قاطعوهم وهم يشـاهدون اللحظات المؤثرة لعبور البط. هناك شـيوعيون سـابقون ممن حلموا بعالم يتسـاوى فيه البشـر والبط والجرذان يلمس هذا المشـهد أحلامهم المتبخرة فيقومون بتوزيعه بدلا عن السـلطات السـويدية كدليل على صحة أفكار لينين.

هناك أيضاً شعوب كثيرة ممن لم تُغسل قلوبهم من الشر بالثلج السـويدي؛ ما زالوا يأكلون البط! هؤلاء يتمنون أن ينتهي تصـوير المشـهد لينفردوا بأنّا- كارين وينهوا رحلتها في قدر كبير مع البصل والطماطم والبهارات.

# لاجئ يعبر الطرق من جديد

مرحباً بك أيها اللاجئ
مرحباً بك في السويد
أعددنا كل شيء لتستريح من بلادك وطغاتها. سنعطيك رقماً بدلاً عن اسمك، وسنختم على جبهتك «Invandrare» ختماً أبدياً، كي يميزك سكان هذي البلاد البيض دون مشقة، فربما يكون لونك بشرتك أبيض أيضاً، فيحسبك بعضُ البيض منهم، إذ ربما لا يدل اسمك بوضوح على البلاد التي جئت منها كأن يكون «آدم» أو «ماري».

عليك أن تعرف أن هذي البلاد تحكمها القوانين، وهناك قوانين لا ترى بالعين المجردة. هناك قوانين أخرى لا يراها إلا سكان هذي البلاد القدامى ولا يراها اللاجئون أمثالك.

لكي تصبح لاجئاً جيداً عليك أن تمتنع عن أكل البط وتردد كل صباح الوصايا العشر لقانون يانته، حتى لو لم يكن هناك شمس تشرق:
أنا لستُ مميزاً؛ فأنا مجرد لاجئ. أنا لستُ أطيب منكم. أنا لستُ أذكى منكم. أنا لن أقنع نفسي بأني أفضل منكم. أنا لا أعرف أكثر منكم. أنا لستُ أهم منكم. أنا لا أصلح لعمل أي شيء جيد. أنا أقسم أني لن أضحك عليكم. أنا أعرف أن لا

أحد يكترث بي هنا. أنا أعلم علم اليقين أن هذي البلاد لن تتعلم مني شيئاً.

حاذر أن تحاول التلاعب بنا، فنحن نعرف عنك كل شيء، ونسجل كل خطواتك، وحتى تردد أنفاسك. حاذر أيها اللاجئ! فلن تنجو إذا انتابك شك بهذي الوصايا. لدينا عقوبات لن تراها وغير مدونة في سجل العقوبات المكتوب! كأن نرميك في بركة وحلٍ غير مرئية ستمضي حياتك محاولاً الخروج منها.

---

- قانون يانته [بالإنكليزية: Law of Jante وبالدانمركية Janteloven] هو قانون اجتماعي غير مدون كقانون، ويعتبر مدونة سلوك للأفراد وعلاقتهم بالمجتمع ليس في السويد فقط بل في عموم دول اسكندنافيا.
  يتكون القانون من عشر وصايا وبند خاص بالعقاب ويعبر عن رفض المجتمع للتمايزات الفردية والنجاح الشخصي، ويمثل الطبيعة المساواتية في تلك الدول. ينظر المجتمع، أو الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع على وجه الدقة، بعين الريبة وبعض العداء، لكل من يخترق هذه القواعد غير المكتوبة لأن ذلك يتعارض مع الرغبة المجتمعية في الحفاظ على الانسجام والاستقرار الاجتماعي والتماثل.
  جاء القانون من رواية ساخرة للمؤلف الدنماركي-النرويجي أكسل ساندیموس [Aksel Sandemose] بعنوان «هارب يعبر طرقه» [بالإنكليزية A Fugitive Crosses His Tracks وبالدانمركية En flyktning krysser sitt spor].

# خطابات سويدية في شؤون اللاجئين

في السويد لا يحبون الخطابة ولا الفصاحة. السويديون يحبون البط. إنقاذ حياة البط أولوية قصوى يتدرب عليها الأطفال منذ الولادة. يتدرب عليها السائقون والشرطة. يرسلون البط في رحلات تشبه الرحلات المدرسية على نفقة دافعي الضرائب، حتى أنك يمكن أن تجد بطاً سويديا يعتمر قبعة السياح كي تقيه من حرارة الشمس في جزر الكناري أو جزيرة بالي، مع وفد حكومي لحمايته من أخطار محتملة يسببها بشر آخرون يعتبرون البط مجرد نوع من أنواع الطيور.

فجأة؛ انتشر فن الخطابة في السويد كأنهم اكتشفوا أرسطوثيلّس للتو. ترافق ذلك مع زيادة أعداد اللاجئين، رغم أنه لم يكن بينهم يونانياً، لنخمّن أنه حمل كتاب الخطابة إلى هذه البلاد، فتُرجم إلى اللغة السويدية، فاليونان لم تعد بلاد تصدر اللاجئين، إنها تصدر الزيتون والنبيذ الذي يصنعه الفلاحون.

فجأة؛ ترك السـويديون الاهتمام بالبط؛ والأيائل كذلك، ودون إعطاء إشارة؛ دلالة على الانعطاف، انتقلوا للخطابة في قضية اللاجئين.

راعت الخطب شـروحات كتاب فن الخطابة حتى لكأن الجميع درسه وقدم فيه رسالة بحثية.

صـعد خطيبٌ إلى المنصـة، بلباس أنيق وابتسـامة متزنة، وشعرٍ مسرح بعناية، وبشرة بيضاء ناصعة، كأنه ممثل في أحد مسرحيات سوفوكليس أو يوريپيديس:

أيها الشعب المحب للخير والسلام، لنرحب باللاجئين، هؤلاء الذين قدموا من بلاد منكوبة بالحروب والمجاعات. إنهم بشـر. إنهم أبطال. قطعوا البحار والغابات والجبال حتى وصـلوا إلى واحة السـلام. مات عدد منهم في الطريق، وبعضهم فقدوا عائلاتهم هناك في ظل الحروب..

بكى الخطيب، لمزيد من الإقناع والتأثير في الجمهور السويدي المستهدف. بكت النساء السويديات أولاً ثم بكى باقي الجمهور. تهتف امرأة عاصـرت الحرب العالمية الثانية: لنرحب باللاجئين.. لنرحب باللاجئين الأبطال.

التلفزيونات، الراديو، الصحف، شـبكات التواصـل، الإذاعات المدرسـية، إذاعات القطارات والحافلات.. نقلت الخطاب المؤثر المشـحون بعاطفة مصـنعة في مصـانع

إيريكســـون. عمّت البلاد حمّى الترحيب باللاجئين، لم ينجُ منها حتى الأطفال، الذين اشــتروا بمدخراتهم دببة صــغيرة مصنعة في الصين للترحيب باللاجئين.
ثم؛ ملّ الناس من مســرحية اللاجئين، التي قدمت في كل المسارح والشاشات والأثير وعلى متن السفن السويدية التي تنقل الســلاح ومعدات التجســس إلى الدول والشــعوب المتحاربة.

في هذه البلاد الديموقراطية، التي يحكمها حزبٌ ديموقراطيٌ واحد منذ أكثر من قرن ونيّفين، ويفوز في الانتخابات بشكل مستمر كما يفعل الحكام في البلاد التي قدم منها اللاجئون، سرت همهمات بين الناس سراً، في الشارع، في الأسواق، في مكاتب العمل، في الدوائر الحكومية، في مطاعم شــركة إيكيا، في المدارس والجامعات الحكومية والخاصة، في اتحاد الكتاب؛ إن هؤلاء الضــحايا يتكاثرون بســرعة. ربما تلدُ نساؤهم توائم، ربما تلد نساؤهم في السنة أكثر من مرة.
رأتني فتاتان ســويديتان، ألبس كالمعتاد ســحنتي الشــرق أوسطية، وأتحدث مع أصدقاء لاجئين؛ إذ من الصعب أن تصــبح صــديقاً لأحد من ســكان هذي البلاد الذين قدموا إليها قبلك بعدة قرون، وكنت أضــحك بصــوت عالٍ كما

اعتدنا في بلادنا، حينما مررتُ بجانبهما سمعت إحداهن تقول للأخرى:

Oh Too much Refugees

عم البلاد السخط، سخط مكتوم لكنه واضح، انتشرت إشاعات بين السكان «الأصليين» أن هؤلاء القادمين الجدد يحملون أوبئة سريّة في أجسادهم، ويتعمدون ارتداء سحناتهم الأصلية الرثة والمخالفة لمعايير الحياة في السويد. إنهم يخبئون الصحراء تحت جلودهم!
كتبت صحفية شابة في جريدة وطنية: هؤلاء القادمون الجدد في عيونهم نظرات قاحلة قد تسبب التصحر لهذه البلاد الخضراء.
صعد الخطيبُ الذي رحب باللاجئين من قبل، دون أناقة تذكر، بابتسامة شاحبة، وشعر غير مسرح، إلى المنصة ذاتها، كأنه خرج للتو من فيلم روي أندرسون «حمامة تجلس على الغصن وتتأمل الوجود»، قال وهو يغالب الدموع:
يا شعبنا العظيم
أيها الشعب المحب للآخرين والسلام
اكتشفنا أن هؤلاء اللاجئين
يأكلون البط..

شهقت النساء أولا، الشهقة التي يتدرب عليها السويديون كحرف من حروف اللغة، شهق الرجال، شهق بعض اللاجئين الذين يشعرون بالاندماج في أدمغتهم. التلفزيونات، الراديو، الصحف، شبكات التواصل، الإذاعات المدرسية، إذاعات القطارات والحافلات.. نقلت الخطاب الحزين المشحون بعاطفة مصنعة في مصانع إيريكسون. عمّت البلاد حمّى السخط على اللاجئين لم ينجُ منها حتى الأطفال، الذين اشتروا بمدخراتهم دببة صغيرة للاجئين مصنعة في الصين، قبل فترة قصيرة، فاشتروا دمى ملونة من البط، من الصين أيضاً، وخرجوا بمسيرات مدرسية تطالب بحماية البط من الأشرار.

رُحّل عددٌ من اللاجئين إلى بلادهم المنكوبة بتهمة أكل البط. فصل العديد من وظائفهم بتهمة أكل البط. طرد أطفال من المدارس بتهمة أكل البط.
بدا أن لا علاج لتلك الحمّى رغم تقدم الطب في البلاد. ازدادت نسبة البطالة، فقال رئيس الحكومة في جلسة خاصة أمام البرلمان «إن القادمين الجدد يأكلون البط». ارتفعت نسبة الكولسترول في أجساد النساء الرشيقات اللواتي يمارسن التمارين السويدية حتى أثناء النوم، وبررت وزارة الصحة ذلك بـ «إن القادمين الجدد يأكلون البط».

ارتفعت أجور المساكن فقالت شركات السكن في بيان موحد «إن القادمين الجدد يأكلون البط». ارتفعت نسبة العنوسة بين السكان فقالت وزارة السعادة «إن القادمين الجدد يأكلون البط».

صعد رئيس الحزب الذي تصنفه الأحزاب الأخرى كحزبٍ معادٍ للقادمين الجدد وقال في خطبة واضحة، لا تلبي معايير أرسطو، ودون انفعال على ملامحه:

كفى

كفى

كفى

لدينا مشاكل كثيرة وجديّة في هذه البلاد تحتاج إلى حلولٍ من الحكومة سواءً أكل اللاجئون البط أو اللحم الحلال. قسَّم أجدادُ اللاجئين اليومَ إلى أربع وعشرين ساعة لنتحدث ساعة واحدة كل يوم عن شرور اللاجئين وتأثيرهم على الثقافة الوطنية والاقتصاد الوطني وهذا يكفي.

#ورديات ليلية لعمل فَقدَ الطريق

في السويد هناك مكتب للعمل، العمل الذي قدسته الآلهة والنمل وتكرهه الصراصير. في المكتب جيوش من الموظفين النظيفين وذوي البشرة الناصعة البياض يقبضون رواتبهم من مخصصات الحكومة لدمج اللاجئين. فيه مترجمون من كل اللغات، حتى أنك قد تجد مترجماً من اللغة السومرية أو لغة قبائل الهوتو، مختارون بعناية، من اللاجئين القدامى الذين اندمجوا في المجتمع الجديد، وتعلموا كتابة التقارير باللغة السويدية عن الأفكار الضالة التي حملها اللاجئون في أدمغتهم الممزقة وهم يعبرون البحار وتنتقد الموظفين البيض والبط والحكومة الديموقراطية.

في هذا المكتب، يُغسلُ اللاجئون بالماء الساخن المضاف له مبيض الغسيل، ويعقمون بالكلور مضافاً له بعض المعطرات المستخلصة من الصنوبر البري، يصنفون في ملفات إلكترونية سهلة الوصول. يضعون علامة مبهمة بجانب كل شخص تحدد مدى صلاحيته للمرور إلى جنة السويد.

هنا، أعني في هذا المكتب، عليك أن تنسى مهنتك السابقة، فهنا مكان البدايات الجديدة. «الهانديكيغري» الذي صرت تحت وصايته كقاصر لا يجيد الكلام ولا المشي دون مساعدته، شخص ناصع البياض ومدرب على فهم مصلحتك ونفسيتك أكثر من أبيك وأمك في بلادك، سيقترح عليك مهنة جديدة، تلبي طموحك وطموح أجدادك وتنفع هذي البلاد.

فإن كنت طبيبا سيقترح عليك أن تعمل كسائق قطار! قد لا يبدو لك ذلك منطقيا لأول وهلة، فأنت قادم من بلادٍ لا تعرف التفكير الابتكاري خارج الصندوق، وتحسب أنه ليس هناك علاقة بين مهنتك السابقة ومهنتك الجديدة، لأنك ملوث بأفكار منطقية بالية تتبول في سراويلها، حملتها معك من البلاد. فالمهنة هذه تتيح لك تأمل الطريق كل يوم ومشاهدة الأشجار الخضراء على الطريق وقد ترى الغزلان

تتقافز من بعيد مما يجعلك تفكر باختراع دواء لمرض ما في أحلامك التي لن تنقطع.

أما إذا كنت مهندسا معمارياً فإن أفضل مهنة لك هي العناية بكبار السن؛ حيث تختبر الصبر وتشاهد فعل الزمن بالبشر وتكتشف مصير الإنسان وعمارته الداخلية.

أما المهن الأخرى كالصحفي والمعلم والمحامي فإن أنسب مهنة لهم هي «السرفاتور» إذا كان مذكراً و«السيرفتيرس» إذا كان مؤنثاً، لأنها تتيح لهم الكلام مع الناس وتكوين خبرات عن المشاعر المترملة التي ستحتاجها بينما تقطع تذاكر ركوب القطار لعبور الليل.

عليك أن تعلم أن هذه مجرد اقتراحات، لكي تتبع بعدها دورات تعليمية طويلة لتصبح صالحاً للمهنة فليس من مهام مكتب العمل أن يبحث لك عن وظيفة.

# هتاف جماعي في شوارع مقفرة

في أوروبا، وفي السـويد التي في شـمالها البارد، هناك مفردة انتشرت كإشاعة ترعاها منصّة X رغم الثلوج في تلك البلاد، التي تعرقل حركة القطارات في بعض الأحيان. انتشـرت كالنار في هشـيم اللاجئين. لا يمكن تجنبها مهما أثارت لديك من غثيان. أينما ذهبت تجدها، مثل الوحدة والحرية والاشتراكية أهداف حزب البعث في أيام مجده.

أينما تلفتَّ تسـمعها كشـعار وطني، عليك أن تقف لتردده «اندماج تام حتى في المنام». القادمون من الدول المنكوبة بالأحزاب الأبدية معتادون على ترديد شعارات كهذه.

الكل يرددها، الجادون والمغفلون والانتهازيون واصحاب الدكاكين والفاسـدون والطامحون والفرق الموسـيقية والمسـرحية وألعاب الأطفال الإلكترونية الناطقة... كأنك تشاهد تلفزيون الديكتاتور كيم إيل سونغ وهو يعيد خطبه ومقولاته التي ستنقذ العالم من ضلاله.

تشـــبه حملات التنســـيب للحزب الحاكم في بلد ديكتاتوري يحكمه جنرال قاد انقلاباً ســـلمياً بكتيبة من الدبابات. في المدارس في الجامعات في مكاتب العمل في دوائر الهجرة في الباصـــات في دوائر الخدمة الاجتماعية في أماكن اللهو على شواطئ البحيرات في مسرح العبث والأفلام التجريبية..

لا تتوقف محاولات الإدماج القســـرية هذه، فلا مســـتحيل أمام العلم والبنيوية التفكيكية. هناك تجارب تاريخية ناجحة لتفكيك الجماعات البشـــرية والأفراد مثل تلك التي قادها بول بوت. المجتمعات الصـــناعية المتقدمة لديها آلات قـادرة على خرط مجموعات بشـــرية متمايزة ومتخلفة بالمخرطة وإعادة تركيبها كقطع نافعة في مجتمعات متقدمة تحت راية الاندماج التام من أجل غدٍ موحد يُنتج فيه عصير النشيد الوطني من قشور الأفكار العضوية المتحللة.

على القادمين الجدد إلى هذه البلاد المتقدمة أن يتعرّوا من ثيابهم وسـحناتهم ولكناتهم وثقافتهم وأديانهم أيضـــاً؛ وكتمرين صباحي يصرخون مثل صرخة طرزان في الغابات: «الاندماج التام حتى في المنام».

الـذين يقررون العيش في هـذي البلاد عليهم محبـة البط وعـدم السـير على طريق الـدراجـات، وتعلم الشـهقـة السـويدية وصبغ وجوههم بمسـاحيق سـويدية بيضـاء حتى لو كانوا بيض البشرة بالأصل.

بالطبع، حتى لو فعل القادمون الجدد كل ذلك، فمن غير الممكن أن يحصلوا على فرص متساوية مع سكان البلاد الأصليين في حق العمل، فيجب ألا ننسى أنهم يأكلون البط.

# إعادة تأهيل لأطفال خربتهم حكايا الجدات

لنكن واضحين؛

من الذي تسـبب بخراب البلاد التي قدم منها اللاجئون! ألم يكن أولئك أطفالاً تربوا في أسرٍ في تلك البلاد، وكبروا وأصبحوا رجالاً ونساء يسنون الخرائب في أصولها وفروعها! هل أمطرت السماء الديكتاتوريين أم نبتوا من الأرض كأشجار التين والزيتون!

لقد كانوا أطفالاً، ففي الشرق والغرب لا يولد الناس كباراً.

لحسن الحظ يوجد في السويد قانونٌ لحماية الأطفال من الشرور المحيطة، كالطرق والطقس والجاذبية والأسرة.

لنكن واضحين؛

سيكبر أطفال اللاجئين في هذي البلاد، وهم يتكاثرون بسرعة مخيفة. ربما يتطوعون في الجيش، ربما ينخرطون في الأحزاب، ربما يُقبل بعضهم في الوظائف الحكومية رغم

أن هذا يخضع لغربلة دقيقة تشرف عليها كائنات غامضة ربما هي المخابرات. هل تريدون أن يسنّوا تشريعات الخراب كما في بلدانهم! ما الذي يجعلنا واثقين أنهم لن يقوموا بانقلابات عندما يكبرون كما فعلوا في بلدانهم!

لنكن واضحين؛

أُسر أطفال اللاجئين غير مؤهلة لتربية صالحة وناضجة وابتكارية للأطفال اللاجئين. نحن دولة ديموقراطية، تقدس الطفولة والبط والأيائل وصغار الأرانب، علينا أن نحمي هؤلاء الأطفال من أسرهم. من التربية الرثة والألوان الداكنة وأكل الكوارع. هل تتخيلون أن طفلا غضاً يعيش في بلد ديموقراطي نتركه يأكل الباچة!

السويد بلد ديموقراطي؛ تحمي الأطفال ومزارع الضحكات العضوية. تنزع الأطفال من أسرهم التي ترهبهم بأن الذئب سيأكلهم أن لم يطيعوا أمهاتهم، وهو ما يجعل الطفل يخطئ في حل معادلات المستقبل. ماذا يُضير هذه الأسر أن يُربي أطفالهم أسر سويدية بيضاء تتقن الإيجابية وتحضير حلوى السيملا بطريقة صحيحة وصحية، وتدمجهم في النشيد الوطني للبلاد!

# حمامة سويدية تطير بأجنحة بيضاء

السـويديون يحبون الأطفال! هذه حقيقة علمية وجدها رحالة مجهول تحت ظلال الزيزفون. يحبون الأطفال أكثر مما يحب الجزراويون المشبك أو الموليّا؛
الجزراويون يحبون بنهم؛ ويمكن تفهم ذلك لأنهم شـعوب عانت من المجاعات وفقدان البوصـلة في بلاد تسـير على ساق واحدة.
لكن السـويديين يحبون الأطفال بأناقة شـديدة؛ يتركون مسـافة حياد بينهم وبين الأطفال، يدربونهم على فهم آلة الزمن والتعابير المسـتقيمة الواضحة. يعلمونهم منذ العام الأول نبذ المشـاعر العشـوائية؛ والتفكير بشـكل جماعي موحد ومسـتقل! التفكير كفرقة موسـيقية تتقدم عرضا عسـكريا في كوريا الشـمالية. يعلمونهم الانضـباط التام في التعبير عن المشـاعر الإيجابية وخنق الهلوسـة الضـارة والأحلام التي تشذ عن القطيع لأنها لم تقرأ قانون الطفل.
العالم كله يعرف أن السـويد يعاد تصـميمها بين حين وآخر لتصبح فردوساً دنيوياً للأطفال والحوامل؛ فردوس مجفف من الفيروسـات والبكتريا والمشـاعر المؤذية والأحلام الطفولية غير المفهومة والتي قد تتسـبب بعرقلة باصـات المدرسة والتقدم العلمي واختراع شيء ما.

لا أريد أن أبدو مجانيا، إذ يمكن كتابة الكثير عن أطفال السويديين، فهم على سبيل المثال يتعلمون كراهية الحلوى منذ الصغر لأنها تسبب التسوس. كما يتعلمون من العائلة بشكل مبسّط كراهية الألوان التي تخدش الأبيض الصافي الذي اعتادت عليه عيونهم بسبب هطول الثلوج المستمر.

إذا؛ لأن السويد صحراء من البياض؛ والسويديون شعب أبيض، وأطفالهم يولدون بسحناتٍ بيضاء، الطبيعي إذن أن يحبوا الأطفال البيض. أين المشكلة في ذلك!

هؤلاء القادمون من الجنوب والغبار والألوان غير المنسجمة مع نفسها أو صوت الموسيقى، الذين ينشرون الإشاعات والتضليل عن خطف أجهزة الحكومة لأطفال اللاجئين الملونين؛ لا يعرفون السويد؛ ولا يعرفون علاقة السويديين بأطفالهم البيض؛

فأجهزة الحكومة تأخذ الأطفال الملونين لتصبغهم بالأبيض؛ فيصبح بإمكانهم الاندماج مع التفكير الموحد لفرقة الموسيقى التي تتقدم عرضاً عسكريا في كوريا الشمالية، واللعب مع أقرانهم بالآلات الموسيقية المقررة دون أن يعزف أحدهم نغمة ناشزة أو يظهر بلون يخدش الأبيض ولا يلبي طموحات البلاد.

# سوء حظ الأطفال الذين عاشوا في الشرق

السويد، وهي بلد تحت ظلال الكنيسة الديموقراطية الأمريكية، تحترم حقوق الطفل، وتحميه من الكلام الطائش، وانفعالات الأمهات التي قد تؤثر على قدرته على حل مسألة في الرياضيات. لا يتركون الأطفال عرضة لعواطف طائشة مبالغ فيها، كأن تقول أم لطفلها الذي قام بمعجزة ورسم وردة بشكل بدائي وبسيط «يا ألله يا حلاتك.. تعال آكلك». اللغة السويدية خالية من المجاز، والسويديون لا يعرفون المبالغة في التعبير عن حبهم لأطفالهم، كما أن الفايكنغ لديهم تاريخ من الاتهامات من الإنكليز بأكل لحوم الأطفال. لذلك جملة كهذه قد تكفي لأن يتدخل «السوسيال» وينتزع طفلها ليحمي حياته.

يا لسوء حظ أطفال الشرق؛ لو كانوا عاشوا في دولة كالسويد لتمت مصادرتهم جميعا من أمهاتهم، وأعطي كل طفل لأسرة بيضاء ليتربى وحيدا دون إزعاج بقية أخوته الكُثر، الذين يخطفون ألعابه دائماً، وناموا في أسرّة وثيرة من إيكيا، بدلا عن فراش العيلة الذي كانوا ينامون فيه جميعاً، ولنجوا من عقاب أمهاتهم عندما يكسرون الصحون.

# استجابة مستدامة لشعار الاندماج

الدورات العملية المكثفة التي أُخضع لها اللاجئون لتعلم طرق العيش المتحضر، والتثقيف الجماعي أدى لرفع الوعي بمخاطر ثقب الأوزون. القادمون من البلاد المنكوبة بدأت نسبة منهم تنخرط في ثقافة بلدانهم الجديدة وتتسلح بالوعي العضوي لحماية مستقبلها. أثمرت مشاريع الإدماج في البلدان المتحضرة التي تشرف عليها الحكومات الديموقراطية. صار هناك أنواعاً من المندمجين في السويد يتحدثون لبني قومهم بشكل علمي ورصين عن فوائد الإدماج.

فالمندمج العادي؛ لم يعد يشطف مؤخرته بالماء بعد دخول المرحاض، وبعضهم يرفض استخدام المحارم أيضاً! اعتقادا بأن ذلك معيق أساسي للتفكير الابتكاري والنظرة

الإيجابية للحياة والغيوم الممطرة. بعضهم يتحمس كثيرا في رغبته الإندماجية والتخلص من رائحة الصحراء العالقة في سحنته، فيعلق حلقاً في خصيتيه إذا كان رجلاً أو في سرّته إذا كانت إمرأة، من أجل التماهي الفاعل مع ألوان النشيد الوطني الأبيض.

أما المندمج المتطرف؛ فيؤمن بالعلم بشدة ولديه حقيقة مُثبّتة تقول أنّ عدم تنظيف المؤخرة بالماء بعد دخول المرحاض وإحداث الواقعة الكبرى يؤدي لتزايد البكتريا حول فتحتها التي تتفاعل بينيا وترفع معدلات الذكاء! ويبرهن على هذا بكثرة الاكتشافات والاختراعات في السويد.

---

- يستخدم السويديون من أصول لاجئة والمقيمون في السويد كلاجئين مصطلح «اللواحس» للدلالة على اللاجئين الذين يدافعون بشكل مستمر، طوعي أو مدفوع على شكل مكاسب، عن سياسات وقرارات الحكومة حتى لو كانت ضدهم، والذين يلقون اللوم دائما على اللاجئين في فشل سياسة الإدماج القسري لأنهم متخلفون. يشير بشكل مجازي إلى لعق الأحذية أو أشياء أخرى.

ينادي «اللواحس» بطرد اللاجئين الذين ينتقدون أي جانب من جوانب الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية في السويد من البلاد إلى صحراء الربع الخالي إذا تعذر إعادتهم لبلدانهم المتخلفة التي فرّوا منها.

# جنة العزلة المحرمة

هذي البلاد جنة العزلة، جنة العيش الفردي المستقل، حيث يفضل الناس الحوار مع الأشياء التي لا تجيد النطق. يتأمل الناس [هنا] ذواتهم لأيام طويلة دون أن يكونوا مطالبين بالوصول إلى نتيجة ما. لقد وصلتْ الناس في هذي البلاد إلى تأمل بياض الثلج وهو يسقط بهدوء، فالثلج في هذه البلاد يتأمل نفسه بينما يسقط على الأرض.

لكن؛ ترف تأمل الذات، وتأمل الهزيمة، وتأمل الانكسار، وتأمل هذا المكان الغريب غير مخصص لـ اللاجئين القادمين من الشرق، فهؤلاء لم يأتوا من بلدانهم كي يمارسوا رياضة التأمل، جاؤوا لاجئين وعليهم دفع ثمن لجوئهم.

الأفراد الذين عاشوا على هامش مجتمعاتهم الأصلية، الذين كانوا ناقدين لثقافة مجتمعهم، الذين لا يرغبون بالتواصل المستمر مع المحيط، الذين لا يحبون الاندماج في محيطهم ولديهم هواجس تأملية، كأن يتأملوا نمو وردة أو يتابعوا لوقت طويل فراشة تطير أمامهم، أو البعوض وهو ينتحر مرتميا على الضوء، هم عبء على هذي البلاد ومن الأجدى أن يبقوا في بلدانهم ويموتوا هناك ببرميل متفجر أو قصف مدفعي.

أولئك الهاربون من الشعارات، الذين يكنون عداءً للشعارات حتى لو كانت ديموقراطية مزينة بالابتسامات، الذين يكرهون الدجل السياسي المستمر حتى لو كان تحت جمل تتغنى بحق الإنسان في النجاة من الحرب.

أعني نحن الهاربين من عالم مليء بالشعارات، الذين لا نبحث عن شعارات جديدة. الذين نبحث عن فرص متساوية في الحياة دون تمييز كالحصول على العمل حسب مؤهلاتنا مثلا! نحن عبء على هذي البلاد.

# قصص نجاح بلغة الإشارة

لاجئ يجد طريقة للاندماج عبر الغناء
لاجئة تندمج عبر الطبخ
لاجئ يندمج عبر العود
لاجئ يندمج عبر لغة الإشارة
هذه عناوين في صحف أوروبية تلبي معايير الصحافة لدى الكنيسة الديموقراطية العالمية، وتستجيب لحملة الدمج الوطنية التي ترفع شعاراتها حكوماتها الديموقراطية، وليست من تأليفي.

الصحافة في السويد مرتبطة بشدة بالحكومة، الإعلام عموماً، بما فيه المستقل فيتلقى دورات تدريبية في لغة الإشارات الحكومية. الريح الحكومية في السويد تجعل الكلمات تميل، بالاتجاه الذي تريد.

فحينما كانت الحكومة ترفع شعار «Welcome Refugee» كانت الصحف المحلية والوطنية تتسابق لترجمة إشاراتها وتتحدث عن مجتمع متعدد الثقافات، اللاجئون فيه مصدر غنى. كان على الإعلام أن يخلق قصصا إخبارية عن نجاحات اللاجئين، ولأنه عملياً لم يكن متاحاً أمام اللاجئين

الكثير من الدروب للنجاح الحقيقي، لم يكن أمامها سوى النفخ في الفراغ.

يفتتح لاجئ مطعما في بلدة مهجورة فيحتل الصفحة الأولى في الجريدة المحلية التي تمولها البلدية كقصة نجاح.

يجد لاجئٌ عملا في شركة تغليف للخيار العضوي المستورد من اليونان فتقدمه الصحف كقصة نجاح.

يزرع لاجئ الباذنجان في حديقة منزله فيلتقي معه الراديو ليسرد للشعب قصة نجاحه.

ينظمون مسابقة لملكة جمال التوت البري، ويمنحونها لـ لاجئة من أفغانستان، فتحصل على تغطية واسعة في التلفزيون الحكومي، الذي يدّعي أنه خدمة عامة مستقلة، كقصة نجاح، تشكر الملكة السويد وأخواتها الإسكندنافيات! التي أتاحت لها أن يتفتح جمالها البري وتحصد اللقب التوتي.

ولولا أن السويديين لا يتزوجون من الغرباء ولا يشجعون عليه لوجدنا عنواناً في أحد الصحف الديموقراطية: علماء بريطانيون يثبتون أن أسرع طريقة للاندماج هي عبر التواصل الجنسي.

# عنصرية تغني لحرية التعبير

# عن الكلاب الملونة التي يدللها السويديون

السويديون يشترون الكلاب بكثرة
تراهم يرافقون الكلاب في كل مكان
في الحدائق في الشـوارع في المقاهي في القطارات في الليل في النهار..
هناك أقسـام ضخمة في كل سـوبر ماركت سـويدي مخصصة لطعام الكلاب.
ربما لا يصح أن نسـتخدم تعبير «السـويديون يرافقون الكلاب»، لأن الكلاب طوال الوقت مربوطة بحبل بيد السيد السـويدي الأبيض الناصع المبتسـم، أو السـيدة السـويدية البيضـاء رائعة الجمال. يجرونها خلفهم أو يتركونها تتقدم أمامهم بمقدار طول الحبل الذي يحكمون إمساكه ويتحكمون بطوله بطريقة آلية.
الكلاب التي تعيش في السـويد [كما لاحظت خلال عقد من الزمن] تتميز بالخضـوع التام لمالكها. مدربة على الخضـوع بشـكل مطلق، حتى أن صـديقة أفريقية قالت لي مرة: السـويد بلد متقدم؛ ربما دجنوا سـلالة خاصة من الكلاب خاضعة جينيا.

في الحدائق، ولمرات كثيرة ومدن مختلفة، رأيت بعيني كلابا لطيفة تجلس وتتمسح طوال الوقت بأقدام سيدها أو سيدتها. وبحسب اعتقادي ودون تقديم أدلة دامغة فإن الكلاب التي يملكها السويديون مدربة على الفهم السريع والعاجل، إذ يكفي إشارة أو إيماءة من السيد أو السيدة لينفذ الكلب ما طلب منه ما بين غمضة عين وانتباهتها.

لا أذكر أني سمعت كلباً تجره سيدة أو سيد ينبح أو يعوي! وحقيقة لا أدري إن كانت الكلاب التي يملكها السويديون تمرض فلم أذهب لأي عيادة بيطرية. كما لم أقرأ القانون السويدي الخاص بالتعامل مع الكلاب؛ فبالكاد كان لدي وقت لأقرأ قوانين اللاجئين المتغيرة بسرعة متناسبة طردا مع صعود العنصرية؛ لذلك لا أعرف إن كانت ممارسة الجنس مع هذه الكلاب اللطيفة مسموح قانونا كما في جارتها الدانمرك!

لم أسأل أيَّ سويديٍ إن كان ينظر للكلب بصفته آخر، ولكني رأيتُ سيدة سويدية شقراء رائعة الجمال في الحديقة المشتركة لمنزل صديقي، تصنع حلقة بقطر ثلاثة أمتار من القضبان المعدنية وتحبس كلبها المدلل داخلها دون حبل! وتتمدد خارجها تتشمس؛ بينما تتحاور معه داخل الدائرة المغلقة لساعات طويلة.

الكلاب التي تعيش في السـويد تلاطف مُلاكها بشـكل دائم، يمكنك أن ترى بشـكل متكرر كلباً يعانق سـيدة سـويدية جميلـة في حـديقـة على العشـب أو حتى وهي تجلس على مقعد أيضـاً! حتى أني سـمعتُ لاجئاً يقول لصـديقه مرة: ليتني هذا الكلب.

يمكن القول دون أي تردد أو خشـية من مخالفة الحقائق أن السـويديين لديهم خبرة متراكمة في التعامل مع الكلاب. وكما اسـتنتج باحثون كثر: السـويديون يحبون الكلاب الخاضـعة ويدللونها. بل يعتبر الإعلام العالمي السـويد جنة الكلاب. كذلك يحبون اللاجئين الملونين أيضا.

# كوبنهاغن أو عاصمة العنصرية في النوردك

وصلتُ كوبنهاغن
حيث تمشي العنصرية في الشوارع عارية
دون لصق ابتسامة على وجهها كشقيقتها السويدية.
هنا تذهب العنصرية إلى مدارس اللاجئين صباحاً
تحاول يومياً اقناعهم بالعودة إلى الحرب
كي يموتوا هناك بسلام
وتبرهن لهم أن حياتهم هنا ستكون أكثر تعقيدا من موت بسيط برصاصة أو برميل.
بعد الظهر تذهب العنصرية لسوق العمل
حيث تعزل الألوان وترتبها فهي تكره اللون الأسود وتدرجاته وتكره الأسماء التي لا تشابه اسمها وتكره الأديان غير المسيحية؛ والمسيحية إذا كان يعتنقها لاجئ.
في المساء تترأس العنصرية جلسة البرلمان وتحاول سن القوانين التي تدهش العنصريين وتنال تصفيقهم:
- إن كلية واحدة تكفي كي يعيش اللاجئ؛ عليه أن يبيع الثانية ليسدد مصاريف الطعام والمأوى التي قدمتها الحكومة الدانماركية.

- تفويض الشـرطة والبلدية والمسـافرين وعابري الطرقات الدانماركيين بالاستيلاء على هواتف اللاجئين لتسديد ثمن الماء الذي شربوه صافيا في الدانمرك.

- خفض كلفة انتاج العنصـرية في الأراضـي الدانماركية لتصديرها بأسعار تشجيعية إلى دول النوردك المجاورة.

- إذا رفض اللاجئون المغـادرة نحو الحرب رغم المغريات؛ سنضعهم في جزرٍ معزولة دون شمس؛

ونتركهم يموتون بحرية

دون أن نوسخ أيدينا.

# شرائح إلكترونية لمراقبة الأحلام

القادم الجديد إلى السويد ما أن ينتهي من مقابلات الهجرة ويختم على جبينه «لاجئ» يتحول إلى رقم، يصطف بالتسلسل حسب تاريخ ميلاده إلى جانب ملايين الأرقام التي تشكل السكان.

أربعة أرقام. لا تحتاج غيرها لركوب القطارات المارة في الحلم والتي تتوقف عادة في محطات مهجورة يغطيها الثلج. أربعة أرقام تسمح لك بالوقوف في طابور انتظار طويل من أجل شراء أثاث مستعمل لأحلامك المرتجفة في العراء. مع هذه الأرقام يمكن أن تقضي حياتك دون أن تقابل موظفا سويدياً.

كل شيء في السويد يتم عبر تطبيق «الهوية البنكية». فهم يقدسون الدخل والضرائب والخصوصية. ربطوا الهوية بالحساب البنكي لضمان عدم تسريبه لأحد. إنها فكرة عبقرية؛ فلا أحد يأتمن أحد على حسابه البنكي حتى لو كان مفلساً وتراكمت عليه الديون، إذ لا يريد أحد أن يطلع على ديونه أحد. فربما احتاج أن يقترض منه يوما ما.

مع ذلك ظلت هناك إجراءات تحتاج مقابلة موظف ما، يريدون التخلص منها، فالسويديون شعب يحب العزلة، لا يحب الاجتماع والمهرجانات والحديث مع غرباء. بدلاً عن ذلك يحبون الرحلات إلى جزر الكناري حيث يتحدث الناس هناك بصوت عال، وتنبح الكلاب بشكل متواصل مما يثير بهجتهم.
يريدون التخلص من حاجة الاجتماع بآخر حتى لو كان سويديا أبيض مثلهم؛ لذلك بادرت الحكومة بزرع شرائح إلكترونية تحت جلد الأرقام، بحيث يمكن لكل رقم أن يجري معاملاته في الحياة [وبعضهم قال حتى في المقبرة] دون أن يقابل رقماً آخر. وهذا يسهل على الأخ السويدي الأكبر تتبعك ومعرفة ما تفكر به وأنت نائم.

# تفكير حر في بلد ديموقراطي

السويد بلدٌ ديموقراطي، قرأتَ هذه العبارة كثيراً في هذا الكتاب. تؤمن بحرية الفكر، ولديها قانون صدر قبل مئات السنين يشجع السكان على ممارسة اليوغا الصامتة والنميمة وزراعة أشجار من الكلمات في حديقة المنزل.

يمكنك أن تفكر في كل شيء، حتى في علاقة الحكومة ببرنامج تعقيم البشر الذين يعانون من الأمراض والعاهات الجسدية والعقلية الذي استوردوه من هتلر، لن يحاسبك أحد.

لكن؛ لنكن منطقيين؛ الموظفون الحكوميون ليس من اللائق أن يعبروا عن أفكارهم السلبية تجاه رب العمل ويسعون لنشرها، هذا أمر بديهي.

إذا كنت قادماً من بلادٍ منكوبة، لا تسمح لك بحرية التفكير وزراعة النخيل المثمر والكلمات الضالة، فإن هذه البلاد هي المكان المفضل لانتقاد بلادك. لكن حاذر أن يدب بك الحماس بعد قراءة قانون حرية التعبير وتنتقد هذي البلاد علناً، حتى بلغتك الأصلية التي لا يقرأها حتى اللاجئون، فإنك ترتكب خطأً جسيماً. ما هو متوقع منك، رداً للجميل، كتابة قصائد في مديح البط ومنتجات إيكيا وشهقة السويديين المميزة وخلعهم للأحذية عند الأبواب وتدريبهم الأشجار على الاستيقاظ المبكر.

حتى إن كتبت لن يحاسبك أحد، لكنك لن تجد مكاناً لنشره سوى تعليقه على حبل غسيل داخل منزلك الضيق.

اتحاد الكتاب السويديين لديه قراء محترفون يفلّون الكتب بحثا عن القمل والصئبان. هناك متطوعون متحمسون يشعرون بالاندماج في أحلامهم، يقرأون ما تكتب بلغتك الأصلية، ومعتادون على كتابة التقارير الكيدية بزملائهم الكتّاب، ليستأثروا بمنح الكتابة التي تهدف لتدجين الكتّاب

ووضعهم على صراط رؤية الحزب الحاكم للآلهة وتنمية التحليل العلمي لسبب انقراض الديناصورات. قراء محترفون ديموقراطيون يستلهمون أسلوب عمل فِرق القراءة في اتحاد كتاب ألمانيا الديموقراطية في عصر الشتازي؛ يصنفون الكتب المعقمة، والأفكار الإيجابية التي تساهم في زيادة سرعة القطارات وتكاثر الأيائل، ويبحثون عن الكتابات الضالة التي تشعر البط بالاكتئاب والمواطن السويدي بالتردد والحيرة.

لن يسجنك أحد كما في بلادك المنكوبة، لكنك سترمى في مستنقع العزلة والنسيان ويشطب اسمك الذي من أربعة أرقام من سجل الوجود، هذا كل ما في الأمر.

# نشاط سياسي عبر حزبٍ ديموقراطي

السويديون لا يصرّحون بانتماءاتهم السياسية. لا أدري إن كان ذلك جزءاً من الباطنية السويدية أم أنه عُرف عام.

ذهبت إلى حزب سويدي لأصبح عضواً فاعلا في المجتمع كما طلبوا مني في دورات الاندماج. الحزب الذي اخترته بعناية متحالف بشكل أزلي مع حزب البعث الديموقراطي الحاكم الذي يقود الدولة والمجتمع منذ ما يقارب مئة عام.

رئيسة فرع الحزب في المدينة؛ بعد أن أبلغتني بالموافقة على طلبي. سألتني؛ لماذا اخترت حزبهم. فأفصحت بلغة إنكليزية واضحة أني أطمح أن أكون مؤثراً في الحزب وأنهي التحالف مع الحزب الحاكم والانتقال به إلى صفوف المعارضة حيث أجد نفسي دائما.

منذ ذلك الوقت لم أتلق منهم أي رسالة، لم يطلبوا حتى صوتي في الانتخابات.

# جنة المثليين التي في الخطابات

في السـويد يرتفع علم المثليين خفاقاً، إنها بلاد ديموقراطية حرة [كما أصبحت تعلم أيّها القارئ]. هناك احتفال سنوي للمثليين يحضره سويديون رسميون وخطباء مفوهون. يمشي المثلّيون في شوارع السويد دون خشية من أحد.
في هذا البلد ذاته؛ فتاة سويدية مثليّة، بيضاء كالثلج تعود أصولها للفايكنغ؛ أفصحت في الجامعة عن هويتها المثليّة، دون أن ترفع علم المثليين أو تطالب بأية حقوق خاصة. لم يقبل الطلبة السويديون التشارك معها في مجموعاتهم الدراسية، لم يجلسوا بجوارها في مطعم الجامعة لتناول الحلوى المحلاة بشعارات حقوق الإنسان؛ لأنها مثلية.
لأنّها مثليّة؛ تم نفيها إلى مجموعة من اللاجئات من قارات مختلفة وتم عزلهن بشكل طبيعي؛ تشيلية وأفغانية وكوسوفية وسورية، قبلنها دون شعارات أو خطب وطنية عن حق الإنسان بعلم ملون بألوان قوس قزح، رغم ذلك لم يفارقها شعور التفوق الجيني تجاههن.

# تلفونات السعادة

الأرقام السويدية الأرضية، أو الأرقام المجهولة عندما تظهر على شاشات تلفونات اللاجئين تثير الفزع؛ لا يمكن لها أن تبشرك بمولود جديد، أو بحصولك على جائزة نوبل في الصبر؛ لا بد أن يكون هناك مشكلة اختُلقت خصيصا لأجلك لتقع في حفرة ملوثة بمشتقات نفطية.

حتى لو أحبطت هذا الهجوم بطرق سلمية وتركته يرن دون أن ترد. لن يفيدك هذا، فكما أن تجنب المخابرات في بلادك أمر مستحيل فتجنب هذه التلفونات ليس ممكناً إلا بعد أن تصبح من سكان المقابر. سيلحقونك على عجلٍ بإرسال بريدٍ ورقي.
وصناديق البريد في السويد هي زنازين بيدك مفتاحها، تخشى فتحها دائما كي لا تجد نفسك في حفلة تعذيب.

# عنصرية وطنية لا تستثني زلاتان

أوه عزيزي زلاتان، أنت تشفي غليلي بحديثك العلني عن العنصرية التي يمارسها السويديون ضدك. أنت أيضا تقدم لي عزاءً، ليس لي وحدي بل لكل اللاجئين الذين قدموا إلى هذي البلاد وعانوا من العنصرية.

من نحن حتى نتذمر من العنصرية! أمام لاعب محترف من يحبونه يساوون خمسين ضعفا على الأقل لسكان السويد ومع ذلك خرّب الوطنيون العنصريون تمثاله عدة مرات في مدينة مالمو، وتبولوا عليه.

# الموت بخطءٍ طبي

في الشـــرق المنكوب؛ حيث يحكم الطغـاة وينتهكون حقوق الإنسـان والنمل والشـعير؛ يمكن أن يقتلك رجل المخـابرات بوضوح وصلف وعلنية إذا انتقدت نظامه.

في بلدٍ ديموقراطي، يحكمه ديمقراطيون اجتماعيون، حيث الكلام عن حقوق الإنســـان والكلاب والقطط مرميـا على الرصـــيف. حيث يمكن أن يغرّم المرء إذا تحدث مع قطته بصوتٍ عال أو أسمعَ كلبتهُ كلاماً قاسياً.

في البلد المذكور، إذا كنت لاجئاً، أو تحمل جنســيته لكنك من أصــل 'لاجئ'، يمكن أن تموت بخطأٍ طبي بســيط ومبهم وغير مقصـود؛ على يد طبيب أبيض، أو ممرضـته البيضـاء كغيمة حالمة، أو على الأقل يمكن أن يفتح صدرك من جهة اليمين لإجراء عملية في القلب. أما إذا انتقدت التقصــير والإهمال في المشفى فستجد نفسك خارجه ملفوفاً بآلامك.

الأخطاء الطبية، التي تحدث بالصـدفة ضـد اللاجئين، كأن تقطع رجلك التي تحتاج لعمل جراحي لاسـتخراج رصـاصـة أصــبت بها في الحرب، ربما تكون عملا ســريّا تقوم به أرواحٌ هائمة وشــريرة تكره اللاجئين وتســتخدم أدوات الطبيب أو ممرضته.

# نوبل أو جوائز تاجر الموت

محاولة جديّة لفهم السويديين

# القديس ألفريد نوبل

لأن العالم مصاب بداء النسيان، أريد أن أذكره بألفريد نوبل، الذي كان قديساً صامتاً يزرع البطاطا العضوية ويوزعها على الفقراء. كان رجل الأحلام الذي آمن بمستقبل آمنٍ للأرض وجارها المريخ، ليعيش الناس بأمانٍ يزرعون المنتجات العضوية التي تجعل البقر يدر الحليب والطيور تعزف السمفونيات.

كان كاهناً يحافظ على الصلوات، ويحبّ مريم. كشف له الربُّ بصيرته وحمّله الرسالة «يا ألفريد أترك كل شيء وازرع البطاطا العضوية لخير البشرية»، وهكذا فعل. أدى مهمّته دون ثرثرة أو ضجيج. ساعد البشرية على النّمو والتطوّر فقد هجّنَ بذارا للبطاطا ينمو في أسبوع في التربة الصالحة وغير الصالحة. أطعم الجياع في كل القارات من الهند إلى ليبيريا. علمهم الكلمة وأعطاهم مفاتيح الغيب.

ولأن الأقربون أولى بالمعروف فقد علّم السـويديين صـياغة الكلمات بهدوء، الكلمات القادرة على جعل البطاطا تنمو بسـرعة مدهشـة دون انتظار. علّم أهله كيف يقدمون أنفسـهم للعالم ببسـاطة كأن اللّاوعي يقودهم إلى فعل الخير.

كان قلبه واسعاً رحبا منفتحًا، باحثا عن الحقيقة في البذور التي ألهمه الربُّ تهجينها.

اختار القديس ألفريد نوبل مرات عديدة أن يظهر لمحبي الخير والبطاطا في أحلامهم، ليعلمهم كيف يمكن لتاجر موت اخترع الديناميت الذي حصد أرواح ملايين البشـر ومازال، أن يصبح قديسا يتهافت العالم، بل خاصةُ العالم؛ أولئك الذين يمنحون «أعظم فائدة للبشـرية» أن يحلموا بحمل اسمه وميدالياته وأمواله التي جمعها من فعل الخير بزراعة البطاطا. لا يحمل اسمه المقدس سوى القديسين وكهنة العلم.

السـويديون شعب يسـتحق الاحترام على مهارتهم في تغيير دلالة الكلمات فقد حولوا معنى عبارة «تاجر الموت» إلى القديس. ليس لدى المؤمنين بالرب وملكوته فقط بل صـار حلما يراود سـكان الأرض والكواكب الأخرى إذا وجد فيها

علماء. علّم هذا القديس شــعبه الحكمة وتزوير الوقائع والتاريخ.

في زحمة الجوائز التي توزع كل عام على أحباب الرب والمحظوظين وأصحاب البشارات الذين خدموا البشر، لنحلم جميعاً أحلامًا جريئة تتوج مسيرتنا، لقد فتح لنا القديس نوبل أبواب الحلم في الحصول على شرف حمل اسمه.

هذا هو مقام القداسة على مرمى حجرٍ منا، وهؤلاء هم السويديون، تأملهم جيداً لقد جعلوا من حمل اسم تاجر الموت حلماً للبشرية.

# بريطاني من مدينة ناغاساكي

جائزة نوبل، التي أسسها القديس نوبل، مخترع الديناميت السلمي، الذي يستخدم كسماد عضوي يجعل المحبة تنمو بين البشر، ويشجع الكتاب على تأمل وردة التوليب، ونمو البطاطا العضوية، وتشرف عليها لجنة طالتها الفضائح الأخلاقية الديموقراطية، أعطيت هذا العام لكاتب بريطاني من أصل ياباني من مدينة ناغاساكي، اسمه كازو إيشيغورو، لأنه «كشف في رواياته المشحونة بالعواطف عن الهاوية الكامنة تحت شعورنا الوهمي بالتواصل مع العالم».

مُنح جائزة القديس نوبل لتساعده على نسيان الهاوية التي حفرها «الرجل البدين» وابتلعت مئات الألاف من سكان مدينته، الذين رأوا «أمطاراً من الخراب تأتيهم من الهواء، لم يرها أحدٌ من قبل على هذه الأرض».

ربما هذا ما رجح فوزه على منافسيه، فالسويديون يهتمون بشعور الضحايا الناجين من الابتكارات الشقيقة لابتكار تاجر الموت القديس نوبل.

# صديق المجرم الذي حمل اسم القديس

مثل كثيرين، لم أسمع بالكاتب الذي حصل على نوبل الآداب اليوم، وهناك آخرون كثر من حاملي اسم القديس نوبل وميدالياته لم نسمع بهم. يرفعهم اسم القديس كسحابة ضوء لتراهم البشرية جمعاء.

يستطيع الأكاديميون السويديون المحنكون؛ الذين يصيغون بيان الجائزة بتركيز عالٍ تجعل البشرية تقتنع بخياراتهم حتى لو أعطوا هذه الجائزة لقطة لم تنطق غير «مياو». يدبجون بياناً متماسكاً يقنع البشر والقطط بأحقية القطة التي قالت «مياو» بحمل اسم القديس نوبل. ومن لم يقتنع لديه عدم جدوى مائلة للمنتصف ملونة بالعدم.

نال شرف حمل اسم القديس نوبل هذا العام الكاتب النمساوي بيتر هاندكه، صديق مجرم الحرب ميلوسوفيتش، الذي أشرف على إبادة الآلاف في مذبحة سريبرينيتسا الموثقة تحت أنظار العالم وشهادته، وينكرها الكاتب.

هذا ليس عبثاً، السويديون لا يحبون العبث. والأكاديمية تريد أن تقول: عند منح شرف حمل اسم القديس نوبل لكاتب ما، فإن إبادة المسلمين أمر أقل من أن يؤخذ في الحسبان حتى لو كانوا أوربيين بيض.

# تذكرة باتجاه واحد لمغادرة ما صار وطناً

# القَدر الذي ضلَّ خُطاه

إلى سعد الياسري

كنتُ في الرياض ثم الإسكندرية، بينما كنتُ أتابع الزمن البطيء الذي تحمله على كاهلك وتسير به في غابة الأيام في مملكة السويد. كنتُ أجبر نفسي على الصمت، كي لا أعنّفكَ على لا مبالاتك بالثلج، الذي لا نراه إلا في الصور والمناسبات. كيف لا يعشق المرء الحياة مع غزلان الرنّة والعتمة الحالكة، التي هي المكان الطبيعي لأي شاعرٍ يريد أن يتأمل الصمت.
حين وصلتُ السويد بخطى منهكة كنتَ عدتَ إلى الصحراء. لم أفهم ذلك؛ كيف يعود شاعر إلى الصحراء من بلدان الغابات التي تمنح الإنسان القدرة على تجاهل الزمن والضوضاء.

لكن لماذا لم تقل لي: لا تأتِ إلى هذي البلاد!

# مهاجر آخر من السويد

إلى صالح حميد

تركني صالح وحيداً وهاجر نحو الشمس..

أخذ في حقيبته الصغيرة نصف الهواء من مالمو! نصف مقاهيها وشوارعها، ترك لي حذاءً وكنزةً وقميص كتان بأكمامٍ طويلة.. ورحل. رحل نحو الصحراء حيث الغناء بصوت عال، لا يعاقب عليه القانون.

# رحلة مغادرة باتجاه الشمس

**[1]**

جئتُ إلى السويد علمانيا ليبرالياً، وبعد قليل سأخرج منها نحو الشرق؛ علمانياً ليبرالياً؛ متقززاً من الليبرالية السويدية؛ والشعارات التي يرفعون راياتها على شكل قيم لإخفاء سيوف العنصرية تحتها، تلك التي نحرت أيامي.

**[2]**

من المؤسف أن يضطر الإنسان [أيُّ إنسان] أن يسافر إلى ستوكهولم؛ المدينة المُعدمة من الحياة، التي ينام سكانها باكراً، ثم يستيقظون باكراً لممارسة أعمالهم بنشاط وابتكار افكارٍ عنصرية جديدة.

من المؤسف أن يسافر الإنسان إلى ستوكهولم؛ المدينة المصمتة المسكونة بالفراغ، حتى لو كان ذلك من أجل استخدام مطارها لمغادرة هذي البلاد.

**[3]**

أحبُ السويد حباً يمشي على ساق واحدة. لشدة حبي لها لا أريد أن أموت فيها، كي لا ألوث هذي البلاد النقية بجثتي.

**[4]**

هذه المرة الاولى التي أنشـــر فيها مســـار رحلة على شـــبكات التواصـــل؛ لكن مغادرة الســـويد شـــيء يمكن أن يشـــاركني أصدقائي الذي عاصروا ألمي الاحتفال به.

# في الاحتفال بالخروج من المقبرة

مثل عسكري سيسلم العهدة؛ استيقظت باكراً؛ للمرة الأولى أكون جاهزا للسفر قبل الوقت المحدد؛ تقلصت حاجياتي كالعادة إلى «هاند باك».

وصلت محطة «تي سينترالن» وسط ستوكهولم بوقت مناسب؛ قررت الذهاب في الباص فلدي وقت كاف؛ وهو نصف سعر تذكرة القطار.

فتحت تطبيق الباصات لأحجز تذكرة للمطار، لكني قررت أن أتأكد من وقت الرحلة مرة أخرى، فوجدت أني جئت

أبكر ساعتين! قلت: إذا؛ لأحتفل وحيداً بوداع هذه المدينة؛ سيدة المدن الخاوية.

كشيخ سومري؛ ذواقة الطعام؛ الذين يأكلون ما هو متاح ويسمون كل طعام نعمة؛ قررت أن أحتفل بنفسي. ذهبت إلى فابيانو؛ مطعم أصدقائنا الطليان؛ الذين أخذوا عنا المعجنات وأضافوا لها بصمتهم!

أحب هذا المطعم؛ يجمع الجلسة الحجازية والنظافة السويدية الدقيقة والذوق الإيطالي إضافة للطافة العاملين؛ وأسعاره فوق المتوسط قليلا قياسا للمطاعم الأوربية.

أذهب إليه كثيرا، وحيدا، ومرات مع أصدقاء؛ في كل مرة أطلب نوعا مختلفاً من الباستا. طلبت كأس نبيذ أحمر، كما أفعل عادةً، وجلست أحتفل بمغادرة ستوكهولم، عاصمة البلاد التي لا تعرّفنا إلا كلاجئين أجانب؛ حتى ونحن نحمل جنسيتها وفضل إجارتها لنا.

هنا من فابيانو؛ أمام محطة «تي سينترالن» في ستوكهولم مدينة الملائكة المعقمة، مدينة المومياوات الجميلة الحيّة، أرفع نخبكم جميعاً كما يفعل شيخ سومري.

# شكراً للحياة خارج السويد

واقعاً تحت تأثير أغنية مرسيدس سوسا «شكرا للحياة»، أريد أن أشكر حياتي السابقة، حياتي خارج السويد، فقد أعطتني الكثير؛ أعطتني القدرة على استخدام المفردات وقول: لا.

شكرا للحياة؛
أعطتني طفولة قاسية وحرة، كانت البراري مساحتها، والشمس حدودها. طفولة نبتكر فيها الألعاب من التراب والعدم.

أعطتني شبابا عنيداً ورصينا قرأت فيه الملاحم وألف وليلة وليلة وكتب السحر والشعر.

أعطتني حلب والرياض والإسكندرية وأثينا واسطنبول، إنها مدن الدنيا، مدن الحياة، المدن التي قضيت فيها لحظات من السحر والغفلة والحب.
لم تكن حياة سهلة أو خالية من الآلام، لكنها الآلام التي تزول، الآلام التي يمحوها الزمن، الآلام التي لا تترك ندبات أبدية تلتصق على جدار الذاكرة كمعلقات أبدية. شربتُ رقصتُ سهرتُ تألمتُ بكيتُ ضحكتُ. حياة من الصخب والهدوء والعزلة الاختيارية
أعطتني مشاعر صادقة وملونة
أعطتني دروباً كثيرة وحبيبات وخيبات

أريد أن أشكر الحياة
واقعا تحت تأثير أغنية مرسيدس سوسا.

# لعنة

إذا كان لدى المرء لعنة واحدة فقط فليرسلها بطردٍ بريدي هديةً لدولة السويد.

# عن الكاتب

## خلف علي الخلف

شاعر وكاتب وباحث من الجزيرة «الفراتية»، مواليد الرقة [خنيز محمد الخلف] 1969 يحمل الجنسية السويدية.

حاصل على ماجستير في فلسفة الصحافة من جامعة سودرتورن في ستوكهولم (السويد) عن رسالته المعنونة «احتمالات البلوكشين والاقتصادات المشفرة في تنمية الصحافة المستقلة والبناءة». كذلك يحمل شهادة في العلاقات الدولية من جامعة مالمو (السويد). شهادة في العلوم الإنسانية الرقمية من جامعة كالمر (السويد). إجازة في إعداد المحتوى من كلية مالمو للمهن التطبيقية (السويد). إجازة في الاقتصاد من جامعة حلب.

عمل في جريدة إيلاف الإلكترونية في الفترة 2006-2013 كباحث ومحلل بيانات ومطور، ويكتب فيها مقالات رأي منذ العام 2003م حتى الآن. أسس في عام 2005م موقع جدار الثقافي الذي تحول لجريدة إلكترونية لاحقاً، وتوقفت عام 2013.

كتب العديد من الأبحاث باللغة العربية والإنكليزية، ونشر منذ تسعينات القرن الفائت في الصحافة والدوريات العربية.

لديه ثمانية كتب شعرية منشورة وثلاث مسرحيات مونودراما إضافة لكتب وأبحاث أخرى أهمها كتاب «الحرّانيون السّومريون: في أصول ومعتقدات العشائر الزراعية في الجزيرة والفرات» وهو كتاب بحثي أنثروبولوجي مشترك.

فاز بجائزة الفجيرة الدولية لنصوص المونودراما في دورتها الأولى عن عمله «گلگامش بحذاء رياضي».

ترجمت بعض أعماله ومقالاته إلى عديد من اللغات؛ الإنكليزية والألمانية والسويدية والإسبانية والفرنسية ولغات اخرى.

شارك في تأسيس العديد من التجمعات النقابية للكتاب والصحفيين وكذلك التيارات السياسة.

يجيد العربية والإنكليزية إضافة إلى تعلمه اليونانية والسويدية والإسبانية.

## إصدارات

نون الرعاة (2004) شعر.

التنزيل (2007) شعر.

كحل الرغبة (2008) شعر.

نواح الغريب: حكاية لم ينقرها الطير (2008) نص.

قصائد بفردة حذاء واحدة (2009) شعر.
يوميات الحرب القائمة (2015) شعر.
يوميات الحرب القائمة (2016) شعر. ترجمة إنكليزية.
يوميات الحرب القائمة (2018) شعر. ترجمة ألمانية.
العبرة في الحواس (2018) شعر.
لنكتب عن السويد (2024) شعر.

گلگامش بحذاء رياضي (2010) مسرحية مونودراما.
حقيقتان وممثلة واحدة (2012) مسرحية مونودراما.
I Am From Islamic State (2018) مسرحية مونودراما.

عن البلاد التي بلا أمل (2011) مقالات سياسية.
أصوات بالأبيض والأسود (2012) حوارات.
نجلا بح والقرضاوي وجهان لعملة واحدة (2013) مقالات.
الدولة المرفوضة: سوريا ودور اليسار في إنتاج الدولة الطائفية (2023) دراسة سياسية.

الحرَّانيون السّومريون: في أصول ومعتقدات العشائر الزراعية في الجزيرة والفرات (2022) بحث أنثروبولوجيا مشترك مع قصي مسلط الهويدي.




إذا رغبت في الحصول على نسخة ورقية من الكتاب فضلاً اضغط هنا

إذا أعجبك الكتاب وأردت مشاركته مع آخرين فضلاً استخدم هذا الرابط